نحن العرب

بتحت

أئدنايا بنظرة
لاريب عندى أن الجنس العربي
سياحب مرة أخرى دوراً خطيراً
في تاريخ الشرق والحضارة

المستشار غوبيدي الإيطالي
نحن العرب...

الامة العربية تعود مرة أخرى إلى مكان القيادة العالمية.

هذا هو الذي يجري اليوم على كل لسان. لقد كان العرب يوماً في مكان الصدارة، ثم جاءت عوامل متعددة جعلتهم يتخلفون.

واليوم يكشف العرب هذه العوامل ويقضون عليها واحداً بعد آخر. وهم اليوم، الكلمة الأولى، على كل لسان، فقد ظن الغرب بعد هذه الحرب الطويلة التي واجه بها الأمة العربية، أنها لن تجد الطريق إلى مكانها الحق.

لقد ظل الاستعمار أكثر من مائة عام وهو يحاول تحطيم كيان هذه الأمة ويضيء ملاح شخصيتها ويدس لها من الدسائس ما يؤثر في كيانها ولغتها ووحدتها.

كانت هناك قوى ضخمة تعمل في هذا السبيل؛ وأجهزة مزودة بأسباب العالم ترسم خطة ضخمة متصلة في هذا السبيل.
وقد واجه العرب هذه المعركة وصدوا لها. وهم اليوم ومنذ سنوات قليلة قد تأجج في أرضهم نور ونار، فهم يبحثون اليوم أمرهم ويردون على الاتهامات. ويتفنون النظريات التي أثارها الاستعمار في طريق الفكر والثقافة والحضارة محاولًا أن يقضي علينا بالتخلف والحجز عن الوصول إلى مكان الصدارة.

وكانت هذه النظريات تلخص في:

(1) إنكار ثقافتنا وتراشتنا وأثرنا في الحضارة والفكر والفلسفة.
(2) والتهور من شأن بطولاتنا وأجادنا.
(3) ورسم صورة مشوهة لشخصيتنا العربية.
(4) ومحاولة تحطيم افتنا وإنكار مكانتها.
(5) إثارة نزعات البربرية والفرعونية.
(6) دعوات ثقافة البحر الأبيض وزعامة الأدب اليوناني.
(7) الادعاء بأن علم العرب وفكره قائم على الأسلوب، الغربي، وأنهم لم يعرفوا التجربة في العلم، وأن عقولهم غبية.
(8) طبقو علينا نظرية التفرقة الجنسية والتقييز العنصري.
فقدان لابد أن نواجه اليوم هذه المغالطات جميعًا، وأن نبين
فها وجه الحق، وأن نكشف عن الروح التي تسود ثورتنا العربية اليوم وهي روح السناء، على أساس، والربط بين الماضي والحاضر على هدى، وبصيرة، وفتح النوافذ جميع الثقافات على أن نأخذ منها ما يزيد شخصيتها قوة واندفاعًا إلى الأمام في طريق الإنسانية غير متخلفين، وبنفس الوقت غير ذائبين في شخصيات، غيرنا. لنا صورتنا الواضحة، وكياننا الكامل، فنحن لستنورد النظرية، ولا ننتقل المذهب، ولا نندفع وراء بريق الدعوات، وإنما نصدر عن واقعنا وكياننا المرتب في حاضره بأجاد ماضينا العراق وبطولائنا وتراثنا، وأننا نجعل من هذا المزيج قوة تزيد شخصيتنا حياة وخصباً ومروياً.

وستعرض هنا صورتنا وموافقنا، وهي كالأ ما تكشف عن أصالة طبيعتنا وقدرتنا على العمل والتحرك، ففي خلال الفترة الطويلة التي حملنا فيها أمانة الحضارة عملاً، وكان لنا دررنا وإيجابيتنا في ميدان الحضارة والثقافة والبحر والرحلة، وعندما عدا علينا الغرب قاومنا في معركة طويلة متعددة حتى أشرق في الثورة العربية فعممت الغرب تلك الانتفاضة الإيجابية التي أخذت تعدد موقفنا وتبرز كياننا وتبنى شخصيتنا على أسس من التاريخ والاجاد والتراث العراق...
إطار الصورة ..

ما هي حقيقة الأمة العربية وملاحص صورتها؟

للعرب من صدق الخمس وصواب الخمس وجودة النظر، وصحة الرأي مالايعرف لغيرهم. ولهم العزم الذي لا يشبه عزم الصبر الذي لا يشبه صبر، والجود والأنفة والحبة التي لا يدانيهم أحد فيها. ولا يتعلق بها روى ولاهندى ولافارسي. وفيهم أيضاً خصلة لا تصاب إلا فيهم. وذلك إن سفلة كل جيل وغفلة كل صفن إذا اشتد تشاجرهم. وطلات ملاحاتهم. وكثير مراهم والدعابة بينهم. ووجدتهم يخرجون إلى ذكر الحرمات وشقيمة الأمهات، واللغط السيئ والسفه الفاحش، وليست بسماح من هذا حرفين في البادية لا في صغيرهم ولا في كبيرهم ولاجاهلهم ولاعلمهم، وليس في الأرض صبيان في عقول الرجال غير صبيانهم، وكل شيء تقوله العرب هو سهل عليها أو كصبيحة منها. وكل شيء تقوله الضجر فهو تكلف واستكراه ..
هذا رأي الجاحظ في العرب فإنه رأى مؤرخو العرب;

يقول سيدو في كتابه تاريخ العرب العام:

وظهر أن قصده نسيان العرب وإنكار ما لهم من تأثير في الحضارة الحديثة. فقد حل الوقت الذي توجه فيه الانظار إلى تاريخ هذه الامة التي كانت مجهولة الأمر في زاوية من أسبابها. فارتفعت إلى أعلى مقام فطبق اسمها آفاق الدنيا مدة سبعة قرون.

واليوم ترى اسم العرب يمحي تحت اسم الشرقيين والمحمدين والمسلمين والمهاجرين والمغاربة والترك حتى اسم الهندو. وهو إذا ما ذكر فلالهانة والازدراء وما علنا أن مغازي العرب وإقامتهم في القرنين الثامن والحادي عشر بجنوب فرنسا أسفرت ولازيب عن آثار لا تزال في لغتنا. وإن نفوذ العرب كان بديعا في مختلف أديار تاريخنا، لا فرق في ذلك بين زمن الغزوات الأولى و زمن الحروب الصليبية.

ومن المؤسف أن جهل أفضل علائنا في اللغة لهجات الشرق فظلت اللغة العربية التي حافظت على صفاتها بفضل القرآن، وهي أدعو اللغات إلى العجب حرفًا ناقصًا عندهم، حتى أنهم لم يدر في خلدهم أن الكتب التي يقرضونها إيطالية أو أسبانية أو برتغالية.
لا تتم عن أصل لاتيني قد اقتبست من العربية.

وهم: الذين لا يستطيعون أن ينسوا أن الياباني يوحنا الثامن كان يدفع لهم جزية سنوية ليتلقى إيطالية الجنوبية من غاراتهم (1).

وقال العلماء درى وزير معارف فرنسا، إن العرب أساطذة العالم وارعوا بذور العلم والفنون والعالم اليوم من زروعهم يتقطف ولا ينسك ذلك إلا من لا يعرف الدين من الشمالي.

ويقول دريبان: أن تنفاذ العرب وذوقيهم السليم وشهامتهم وحيتهم وأداب جاهلهم الاجتماعي لطفهم سارت من غزانته وقطرنة إلى بروكسيس ولا نيراوك. وأخذ امراء فرنسا وألمانيا وإنجلترا يقلدون العرب في حب الروسية وركوب الخيول واصبحوا يفخرون كافتخار العرب وكذلك نقلوا عنهم الصيد بالنبل والحراب بالطيور المجارحة مشاة وركوبها.

ويقول كوني: إن العرب أثرت في لغات جنوبية فرنسا ثم امتدت إلى إيطاليا.

ويقول ابن خلدون: إن العرب حكمت على غير مثل مثل.

(1) تاريخ العرب العام طبع 1877.
لها ولا أثار أثر، أصحاب إبل وغنم، وسكان شعر وواد. يقود أحدهم بقوته، ويتفضّل بمجاهده ويشارك في ميسوره ومعصوره. ويفضل الشيء بعقله فيكون قدوة، ويفعله فصير حجة، وحسن ما يشاء فيحن ويفعب ما يشاء فيقع. أدبهم أنفسهم، ورفعهم همهم، وأعلانهم قلوبهم والستهم حتى رفع لهم الفخر وبلغ بهم أشرف الذكور وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر، فن وضع حقهم خسر، ومن أشكر فضلهم خصم، ودفع الحق بالنار. 

باللسان أكتب للجنان (1).

ويقول سيدو: نحن مدينون للعرب في الحقل العلمي.

ويقول بيرترام توماس: لقد كان أثر العرب بعيداً في مدائن القرون الوسطى. حتى أن كلية العرب أصبحت شائعة التداول فيها يتعلق بالقضايا الثقافية وعلى الرغم من أن الحضارة العربية لم تنبث من العرب كنس أو بلاد، وعلى الرغم من أن عدداً كبيراً من علمائهم كانوا من دم فارسي فالأول العرب لم تبلغ الحضارة العالمية بما ياضت اليوم إن من الأمور التي تدهش العقل قابلية هؤلاء العلماء - علماء العرب - على التعبير والجمع. 

(1) العقد الفريد ج3 ص272. 10 -
ويقول لسان الدين الخطيب: العرب لم تتكر قط بذهاب يجمع ولاذخر يرفع ولا قصر يبني ولا غرس يبني. إنما غفرها عدو يغلب وثناء يجلب وجرز تنكر وحذف يذكر. وجود على الفاقة وسماحة بحسب الطاقة هذه صورتنا كما رسمت أفلام عربية وغربية ولكنها جميعا منصفة. نحن العرب لنا تاريخ ضخم، كله أجداد كل سطر فيه ملحمة من ملاحم البطولة والقوة والإيمان والخلق والكرامة والوفاء والعفو والسماحة.

هذه الآمة التي سحقت إمبراطورتين، وقامت حضارة جديدة كان المسلمون والمسيحيون فيها شركاء. في بناء هذه التراث المشترك من فكر وثقافة ولغة وتاريخ وبطولات، والعرب هم أهل هذه الأرض عاشوا عليها منذ أ nfs السنين واشتركوا جميعا في انتصاراتها وهزائمها، وساهموا في ثقافتها وحضارتها، وكانوا معاً واحداً على كل خضم ودخيل وعدو.

فأنا هنا مع الفرحة الذين جاءوا في الحروب الصليبية، وقاومنا التيار الذين قدموا من أقصى الشرق وقاومنا معا الاستعمار الحديث مما ولا نستطيع أن ننسى في هذا المجال أن المسيحيين كانوا في مقدمة الدعاة للقومية العربية في أوائل هذا القرن وكان لهم في حماية اللغة العربية دور ضخم يشهد به ما قام به البستانيون واليازيجيون واليسوعيون وصروف وزيدان.
1 -حضارة العربية

إذا أردنا أن نعرف عظمتنا فلنذهب في رحلة من المحيط إلى الخليج . لنرى ذلك المجد الباجح وحضارة الرائعة والمدن العارية .

هناك ما زالت محظوظة بآثارها الجليلة . لقد بناها يوسف بن تاشقين عام 621 وأطلق عليها مراكش الحمراء ، وقد امتد نفوذها إلى جبال البيرين ومن حولها سور شائع يقلاعه وأراحها ذاك الشكل الهندسي الرائع . مبنى بالطين والحجر الأحمر . وهي في عظمتها تذكرنا بقصر الحمراء في غرناطة . دفنه بها لسان الدين الخطيب والقاضي بن العربي والملك المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية .

3 - ثم ها هي (طرازابليسي) الحانية على البحر الأبيض . تحكي مناراتها البلاستية القديمة قصة التاريخ وسورة العتيقة حيث كرنا بالأيام الذهبية عندما طردت جيوش العرب منها فألوا الروم .

- 14 -
فاذًا تطلعنا إلى السراي ذات الأبراج العالية مر بالخاطر شريط طويل من الذكريات.
وقد سميت طرابلس الغرب تيمنًا لها عن طرابلس الشام ومعناها الرومانى (المدن الثلاث).

3- هم هاى الإسكندرية أعظم مواني البحر الأبيض.
وقد بنىها الإسكندر الأكبر وقد عاشت تاريخها ضخما من حيث شهدت ملك البطالسة والروماني العرب وانبعثت منها أقطار أفلاطون وبها قامت مكتبة الإسكندرية.

عاشت الإسكندرية ستة قرون تحت نير الامبراطورية الرومانية بشطرها اللاتينى واليوناني حتى الفتح العربي. ووقفت في وجه الوافدين الذين حاولوا الاستيلاء عليها. وقد عرف أهل رياط ونجددة ينحدرون من جميع القبائل العربية وهم في البحر صولات أدخلت الرعب في نفوس الروم والفرج.

4- وها هي القدس بمسجدها الأقصى ومسجد الصخرة، ذى النوافذ المائة والسبعون الثلاثين من الزجاج الملؤن: والثريا الضخمة والحاد عشر بابًا، بنىها عبد الله بن مروان عام 44 هـ وحيث قبة مسجد الصخرة مصنوعة من الرصاص.
وتقام القدس المسجد الصخرة والمسجد الأقصى وكنيسة القيامة
وطن طريق الآلام وقلعة القدس وتقام على سبعة جبال وتلال: موريا والقطمون، والضاحر، وجبل المكبر وجبلي صبيون وجبلي الزيتون.

هـ. وهذه دمشق بمسجد أمية حيث كان يعتكف الغزالي، وبها ثماني سبيل ومنبر بردى وقنوات السبع وأحياء الميدان والصالحية وأبو رمانه والمره وجبل قاسيون وحتى أدرمانه وروح صلاح الدين بضريحه المصنوع من الرخام الأبيض وساحة الشهداء الذين قتلوهم. أحمد جمال باشا السفاح في 6 مارس 1918.

قال صاحب معجم البلدان أنه سمي دمشق لأنهم دمشق في بنائها، أي أسرعا. والعرب تقول ناقة دمشق أي ناقة سريعة.

وهناك الغوطا والرس والدهر، ودر ودانانه. وفي تاريخ دمشق المدرسة العادلية والمدرسة الظاهرية حيث ضريح الملك الظاهر بيرس ودار الحديث الإشترية وجامع الحنايلة الذي قرأ به الذهبية.

وإذا الغوط، ضريح سعد بن عبادة، وفي الصالحين ضريح محي الدين
العريبي وعبد القادر الجزائري.

14 —
هـ - وهذه حلب الشهيرة مدينة سيف الدولة والمنفي، حلب التي امتدت الثور بأبنائها ودفعت غزوات الروم عن الشام طويلاً. وما توال قيامة حلب الشهيرة تشهد بعظمة الأمة العربية وقد حددت أسوارها ومبانيها مراراً وأقام الملك الظاهر غازى ابن صالح الدين للقلعة أسوارها عظيمة منيعة وأحبطت بخدق عظم وما زالت حلب مشهورة ببساتينها الناضرة والصنوبر الذي عرفت به منذ القدم.

٧ - وهذه تدمر؛ ماتزال بقاباها تكشف النقاب عن حضارة ضخمة وتماثيل رائعة دقيقة النحت. ومن أجل آثارها الباقية هيكلها الكبير الذي كان يتنصف المدينة وعلى كل جانب من جانبيه نحو ٢٧٥ عموداً يحمل كل منها تمثال رجل من رجالاتها المشهورين. وحيث الأصباغ المختلفة الألوان على جدران المدافن وسقفها وخصص تحمل قصة ملكين؛ أذينه وزينوبيا العريبيين للثائر.

وقد شقت تدمير العربية عصا الطاعة على الإمبراطورية الرومانية وأنزلت جيوشها بقيادة أذينه ثم زينوبيا الهزائم بقوات الرومان والفرس. ولقد ظلت المدينة العربية التي بنيت في قلب الصحراة.
معجزة من معجزات الحضارة العربية حتى بني بجاورها الأمير
نفر الدين المعني قصره ذي الجدران الضخمة والأبراج والغرف
والقاعات.

8 - وهنالك بيروت على شاطئ البحر أخرجت الأوزاعي
والوليد بن فريد الفروي ابن مكحول، وبها ساحة الشهداء الذين
أعدمتهم جمال السفاح في 6 مايو سنة 1929 وسوق النورية وحتى
الزيتونية، وها أعلن نفر الدين المعني استقلاله عن السلطة العثمانية.

9 - ونال للاذقية على ساحل البحر الأبيض تحت قصة
 طويلة حيث ذكرها المغربي والمغني في شعرها. وقد دخلت
اللاذقية في حكم سيف الدولة أمير حلب فهي موقع حرب هام
لوقوعها تجاه قبرص بحرًا وهي المرفأ الذي يسار منه إلى انطاكية
وإلى حلب براً، وقد حاول الروم اغتصابها من العرب أكثر
من مرة.

وقد شهدت اللاذقية حملات الصليبيين حيث استولى عليها
القرصان جوينشر عام 1971 ثم استردتها صلاح الدين ثم جرت
محاولات الفضالة للاستيلاء عليها فأجرى الملك الظاهر هدم قلعتها
حتى لا يستفيد منها الفرنجة. ثم جاء بيرس فاسترد ما كان باقيا من بلاد تلك المنطقة في حوزة الفرنجة وكسر شوكة الاستماعية.

10 - فذا اتجهنا إلى بغداد ذكرنا باب الخندق وقصر التجار.

ودار أبي حنيفة حيث مجلس الفقه، وذكرنا دار الحكمة حيث المترجمين والنسائخ ودكاكين الوراقين وحيث مجالس ابن حنبل والاشقري والباقلاني والسكنى وحيث النظامية ومستنصرية.

ودار السابور.

كان في بغداد ستون ألف حمام يوم كانت أوروبا تعيش في ظلات العصور الوسطى وكان حيال كل حمام خمسة مساجد. وكان في دجلة ثلاثين ألف زورق قال الخطيب البغدادي: لم يكن لمغاد في الدنيا نظير في جلال قدرها ونفاعة أمرها وكثرة علمائها وجمالها وتميز خواصها وعوامها وعظم أقطارها. وسعة أطوارها وكثرة دورها ومنازلها ودروها وجمالها وأسواقها وسلكها وأروافها ومساجدها وحماماتها وطرزها وخانتها وطيب هواها وعذوبة مائها وبرد ظلالها وأفياؤها واعتدال صيفها وشتائها وصحة ربيعها وخيرها وزيادة.

وأما يروي أن أبا الوليد قال: قال لي شعبة: أرأيت بغداد؟ قلت لا قال: فسكت لك لم تر الدنيا.
وكان المنصور قد أمر بعقد ثلاثة جسور أحدها للنساء ثم عقد لنفسه وخشمه جسرين.
وعلى بعد تسعين كيلو من بغداد اطلال بابلو التي ترتقي إلى عبد الملك نبوخذ نصر وخرائب إشور واطلال نينوى.
ووقع طان كسري على بعد عشرين ميلا من بغداد طولهاثان واربعين مترا وعرضه خمسة وعشرون مترا في ارتفاع ينطلق بعظمة العرب.
وفي بغداد منارة جامع بغداد التي تعرف بمنارة سوق الغزل بناها المكتفي بالله عام 39 هـ وقصر الحورنق والسدير الذي يبعد مائتا وعشرة ميلا عن كربلاء.

111 - فلذا قصدنا إلى (سر من رأي) أو سامراً وجداً أثار مدينة ضخمة بناها المنتصر سنة 231 هـ بعد تشييد بغداد بنحو خمس وسبعين سنة على الضفة اليسرى لنهر دجلة وقد اجتذب المنتصر إلى بناء هذه العاصمة إلى الإبداع في البناء وسائر الفنانة الصناعية والزخرفية فاستمع للمشاركة في عامره أعظم الصناع وأصحاب المهن في أنحاء الإمبراطورية ليجعلها أكبر منافس لبغداد.

وقد أنشأ المنتصر قصوراً ومساجد واسواقاً وبساتين تجل عن
الوصف وتشهد بالبراعة والابتكار. ومن أهم القصور، قصر الجوسيق، على الضفة الشرقية لنهر دجلة وقصر العروس الخاتم، والقصر الوحيد والبرج الغريب وقد سكنها المتوكل بعد المعتصم، ومن أثاثها المنزلة الملية لارتفاعها من القاعدة نحو خمسين متراً. وإيوان القبلة في المسجد الجامع الذي يتألف من خمسة وعشرين رواقاً. كما أنشأ حديقة كبيرة للحيوانات المتوحشة تتوسطها البركة الجغرافية التي وصفها الباحث في قصيدته المشهورة. وإلى جوارها حلتيتين كبيرتين للسباق والفروسية ولقد كان يمتد سر من رأى شارع عرضة مائه متراً يظل مستقيماً على طول سبع كيلومترات.

23 - فإذا توجهنا إلى البصرة رأينا تلك الفرضة التي كانت مركزاً لتجارة العرب البحرية والبرية. تصل منها إلى الصين شرقاً وإلى المغرب وإلى الحبشة. فكانت ترسو بها عشرات الآلاف من السفن. وهي ملقى الرافدين: دجلة والفرات.

بناها سعد بن أبي وقاص قائد الجيوش العربية في العراق في أرض ذات حجرة غليظة. عندما رأى أرضها عده بن غزوان المازني قال هذه والله بصرة فسميت كذلك والبصرة هي الأرض
العليقة بها الطين واللزج والحصى وقد انجبت البصرة: أبو الأسود الدوالي والعلاب بن أبي صفرة والحسن البصري ومعمر بن سيرين والفزدق الشاعر والخليل بن أحمد والاخش والاصمعي والجاحظ وأبو الهيل العلاف وأبو الحسن الاستمر والحرزي.

وهذى اليوم أكبر بقاع العالم نخلا. بما نحو عشرة ملايين محلة توصف بها مدينة البندقية العربية تقع على شط العرب حيث تخرج منه أنهام كثيرة تغمر المدينة رؤى الاصمعي عن الرشيد أنه قال: نظرنا فذاؤنا ما على وجه الأرض من ذهب وفضة لا يبلغ يمن تحل البصرة.

فماذا بلغنا الكويت وجدنا حياة بابرة وناصرة عظيمة.
فالكويت كان طريق الموجات القادمة من الوسط الجزيرة العربية إلى العراق. وفيه استراحت قوات خالد لقيادته في دكاكينه، وأهل الكويت من رجال البحر المعاعرين الذين عرفوا منذ القدم بأسفارهم البحرية والبناية في الغوص. يرتدون البحار في الشتاء لنقل تمسور البصرة إلى جنوب الجزيرة والهند وأفريقية الشرقية ويعودون ثاركهم تحمل الأرز والبأيات والاقتحامات والاختطاب لصنع السفن في الهند والجزنل لسقف بيوتهم الأفريقية.

- ٢٠ -
فاذأ حل الصيف قضوه في مغاصات اللؤلؤ، وقد بلغ أسطول اللؤلؤ الكويتي 85 سفينة.

وهناك القصر الأحمر بالخمراء، وبه صمد الكويتيون لصد عدوان الأعداء.

4 - فاذأ بلغنا البحرين ذكرنا قصة الجزيرة التي تعاقد عليها الغزا والمستعمرون فقهرتم وتركت منهم مليون فقر. بحالينا ببع التي تخرج فيها من أعمال البحر والإبار التي تخرج الزب من بطن الأرض.

مر بها الإسكندر الأكبر وما تزال فيها حتى اليوم آثار عده من الصين أو الحجار. ومر بها. كسرى في طريقه إلى اليمن ابن غزو الإباحش. ومر بها جنكيز خان ملك المغول ثم تيمور لنك.

وقد غزاها البرتغاليون ردها من الزمن أقاموا خلافها الفلاغ والحصن وما. من مؤرخ مربى إلا وكتب عنها: هيردوت قبل القرن وثلاثمائة سنة وماركو بولو وأبن بطوطس. واقتحمها الفرس بقيادة ملكهم نادر شاه. ولكن العرب كسرتهم. وقد أمضت مائة وسبعون عامًا في حرب شهدت خلاها.
خمسة وعشرين حربا وقد ورف أهلها بالشجاعة في ركوب البحر والتفوق في فنون التجارة.

سميتي البحرين لوجود تسابيع طبيعية حلوة تتفجر في قاع المحيط فينبثق منها الماء العذب وسط ماء البحر الملح الأجاج. وعين عذارى هي أشهر عيون البحرين.

51 - فأذا بلغنا الخرطوم وجدنا مدينة عربية تقوم على الضفة اليسرى لنيل الأزرق الذي يتصلى بالنيل الأبيض على بعد ميل واحد من الجنوب.

حيث يورد السودان سبعة أثمان حصة العالم من الصمغ العربي، ويجمع من غابات الطالح والشهب بمديرية كسلا وكردفان ما تقيمه ملايين من الجنيهات. وحيث القضارف هي سوق الحبوب والسمسم والصمغ.

وحيث الأبيض رواد مدني وعربرة وكردفان. ومديرية بحر (واد) النيل الأزرق (واد مدني) ودارفور (الفاشر) والمديرية الاستوائية (جوبا) وكسلا وكردفان (الأبيض) والمديرية الشمالية (الدام) وملكال...

وفي سنار يقوم خزان سنار المشيد من الجرانيت وبه 80 بابا.
ويصرف 40 مليون من الامطار المكعبة ويلغ عرض النيل الأزرق عند خزان سنار 300 متر.

تشهد حضارةنا بعظمة أمتنا: ففي كل مكان قصة بطولة وصورة لقاء مع التاريخ وموقف نصر على العدو. هناك جبل قاسيون وحصن الأكراد وساحة السبع في الحمر، وأبواب القاهرة وقبة الصخرة وجبيل طارق والتبراء في الأردن. هنالك الأنهار والمدارس والمساجد والسدود والمكتبات كلها تشهد بعظمة هذا التاريخ.

1- هذا جبل طارق: كان يدعى قبل الفتح العربي جبل اليه) وهو اسم فينيق ويوم احتله طارق بآني عشر ألفاً من رجاله العرب والبربر كان في حوزة القوط. وقد دارت رحى الحرب بينه وبينهم على شاطئ البحر القريب من المكان القائم فيه اليوم مدينة (شيريش) وانتهت بهزيمة القوط بعد ثلاثة أيام. وقد حصن طارق الصخرة ببناء القلاع والأبراج على الشاطئ الغربي في أعالي الجبال. منها البرج المربع الذي لا يزال قائماً هناك.
وقد استمر حكم العرب في جبل طارق سبع عقود وخمسين عاما. ثم انتزعته الاسبان سنة 1609 وانتزعواه واخروا العرب منه عام سنة 1462 ثم استولى عليه الإنجليز سنة 1783.

2 - وهذه مذنة القضية في تونس؛ ترسم تاريخ الأغالبة والقوامط والخضريين وهي واحدة من المآذن الساحقة، ويجوزها القباب البيض والخضر والصفراء. وعلى بعد منها تبدو بحيرة تونس (1) وقد انعكست عليها أشعة الشمس وأرست فيها البواخر وطار في جوها هذا الطائر الرائع (البشروس) مأه هو خليج تونس يشق الأرض شقًا. وها هو جبل الزلاج المتراخي الأطراف يتوج هامته تلك القبة الخضراء العائمة في ذروته كأنها قلعة حرية.

هذا هي ذي سطوح الدور العربية بيضاء مشرقة. ها هي ذي سقوف الأسواق المقوسة تبدو كأنها مسلية من ماء متساقط.

هذه الهمبات المحدقة بتونس كأنها جيوش جرارة نصب لحراسة الخضراء، أعلامها أشجارها وعدمتها صخورها .

---

(1) حسن حسن عبد الوهاب - الرسالة (19 مارس 1945)
3 - وهذه قبة الصخرة بناها عبد الملك بن مروان وهي أثر عظمي في فن المعمار بهرته كل من رآها. وقال المؤرخون أنها لانقل عن عظمة (نافع محل) حيث الدقة وجمال التناسب الذي لانظير له.

وهي بناء مماثل للأركان في وسطها دائرة من الأعمدة والأساطير وتحمل قبة مرفوقة على قاعدة.

وهذه البراك في الأردن، مازال كثير من أعمدةها الضخمة وأقسامها الأخرى حياً متآكلة يضربك لونه إلى اللون الوردي الزاهي ويصبح بطائفة من ألوان قوس قزح حينها تنعكس عليه أشعة الشمس في الصباح والأصيل. ولها مر ضيق طويل يسمى (السيق) ينفد من بين هضبات صخرية شاهقة. وقد وجد بها هذا الطريق مناعة ضد الفواة والبراك منحنية بكاملها في الصخر وكيفا التق المجهود الإنسانى بالطبيعة الجبيرة الساحرة. هناك ترى الأضرحة والبيوت والمعابد والحامات والمدرجات وطرق المياه المقطوعة من الصخر والتي يتجمع فيها الماء الصافي من ينابيع وادي موسى ويجرى إلى قلب المدينة.

4 - وهذه أبواب القاهرة التي بناها جوهر الصقلي قائد
المعر لدين الله القاطمي. حيث بدأ الضلع الشمالي عند شارع بين السياج بمنطقة باب الشعرية وامتد شرقاً إلى باب الفتوح ثم إلى باب النصر.

وبنى جوهر في سوره ثمانية أبواب، أطلق اسم باب زويلة وباب الفتوح على بابين منهما وهما من أبواب القيروان. وفي باب زويلة تقع قبيلة زويل المغربية وهي من بربر شمال إفريقيا.

و في الضلع الغربي من السور الموازي لخليج أمير المؤمنين كان باب سعادة وباب القنطرة. وسعادة هو أحد زملاء جوهر من قادة المعز. تم البناء عام 964م وقد جدده بدر الجالبي في 1087م.

ومد بهاء الدين قراقوش السور القديم من باب الشعرية إلى باب البحر وبنى قلعة المقصى ومكانها مسجد أولاد عنان بالقرب من باب الحديد. وكانت تصل على النيل حينذاك.

وـ: فاذا زرت حصن الأكراد ذكرت قصة بطولة ضخمة فقد بني هذا الحصن مائة وثلاثين عاماً رأس حربة يهدد بها الفرنجة أمتنا العربية وطلما أدخل الربع في قلوب العرب. ولكن نور الدين محمود صاحب دمشق لم يلبث أن جمع جنوده عام 958 هـ
محاولا فتحه ولكنه رد عنه ثم جرت محاولات أخرى لاقتحامه.
حتى فتحه الظاهر بيرس 1908 وسحق الأعداء، واتخذت قاعدة
الجيشه في حربه مع الفرنجة، وذلك تحوّل حصن الأكراد
فأصبح رأس حربة ضد الفرنجة وأعداء العرب.
6- فإذا زدنا بما سد مارب العظيم في اليمن على مسيرة
خمسة أيام من صنعاء ذكرنا عظمة العرب قبل الإسلام بأكثر
من ألف وخمسين سنة.
وكان(1) العرب قد اختاروا مكانًا على مقربة من مأرب
عند جبال برق تتدفق فيه سويل الأمطار التي تسقط على شرق
اليمن لإقامة ذلك السد. فهناك متجه بين جبالين لا يزيد إنساعها
عن 180 متراً بنوًا أمامها حائطاً ضخماً فيه بابان كبيرتان وجدان
سماكة 32 متراً وطوله 80 متراً. وارتفاعها 9 أمتار وأقام في
مدخله بوابة للتحكم في مروج مياه القناة. وفي الفتحة الثانية بابان
تسير مياه ما بين جدارين ضخمين في البداية ثم تسير المياة في قناة
طولها 60 متراً تنتهي بحض عظيم الإنسان فيه قنوات أربعة
عشر قناة تتفتح في نواعي الوادي المختلفة.

(1) بين آثار العالم العربي - الدكتور أحمد خفري - 1958
وقد تدم السد وأعيد ترميمه وآخر ترميم قام به أرفة الحبشى سنة 424 م. وهناك بقايا قصر غنوان الذي بناؤه ملوك سبأ. وقد سجل الهزاراني صورة القصر وقال أن كان كبير الشبه بقصر الحراء في الأندلس.

والعرب هم أول من بنوا السدود على وجه الأنهار والسيول. وقد بلغت السدود التي شيدت في القرن بالمئات. ذكر الهزاراني في الأكيل أن من يحبب العلو من محاليف اليمن وحدة ستينين سدا وسد ما أرب أو العرم الذي ورد ذكره في القرآن الكريم.

إضاحى أكبر السدود في هذا الزمان وكان لشكل سد اسم محطة.
لقد كان الجامع الأموي مكسوة جدرانه بالفسيفساء الرائعة. وإن لم يبق منه إلا قليل بعد إحترافه. وقد خلقوا هندسة خاصة بضم في الأقواس الموقعة والأعمدة الدقيقة والقباب والمقرنصات والعقود الموالية والخافى الهندسية. وهناك مشهد الإمام على في النجف واجتهبه من الذهب الحالص وكذلك المنارات الانمزية والقبة الكبرى في داخل القبة جوهرة كبيرة تتدلى بسلسلة من الذهب من أعلى القبة حتى قرب النافورة.

2 - وقصر الزهراء يقوم على ألف ومائتي عمود من الرخام، وهو مجلس الخليفة وسقفه وجدثره من الرخام والذهب له ثمانية أبواب مطعمة بالأبوبس والجاج والخُجارة الكريمة. ومدينة الزهراء بناء عبد الرحمن الناصر سنة 320 ه وجندها وأوقف على عمارتها عشرة آلاف رجل وجلب لها من روما والقسطنطينية وإفريقية أعمدة الرخام المختلفة الألوان التي بلغت عدتها 4 آلاف وثلاثمائة وستة عشر عامداً. أقام في قصر المؤنس حوضاً من الرخام جبله من الفسيفساء وزينه بنقش ذاتي بها صور آدمية. وجعل عليها تماثيل مختلفة من الذهب المرصعة بالدر صنعت في دار الصناعة بقرطبة وجعل
سقف قصر الخلاقة وجدانه من الرخام ذي الألوان الصافية وقراميده من الذهب والفضة ونشأ في وسطا صغيريا عظما ملويا بالزبير وجعل للقصر في كل جانب من جوانبه ثمانية أبواب. وقد انعقدت على حناياه من النعاج والأنبوب المرصع بالذهب. وقامت هذه الحنايا على أعدة من الرخام اللون والبارور الصافي.

وقد نقل المنصور الصخر المنحوت لمدينته بمعدل 6 آلاف صخرة في اليوم وقدلت النفقة على بنائها 10 آلاف دينار كل عام خلال خمسة وعشرين عاما.

3- قصر الحراء الذي شيده بنو الأمر في مدينة غرناطة وساحاته الفسحة التي من أروعها ساحة البركة وساحة السبع وقاعاتها الرائعة التي من أجملها قاعة الأخرين وقاعة قارشى وقاعة بني سراج.

اقب يد منحدر جبل شعير الذي يبعد من أجمل إمكانيات العالم والذي يشرف على مدينة غرناطة وحقول بعجة الواسعة الخصبة. فإذا نظر المرء إلى الحراء من غرناطة أراها إبراجا مربعة ذات ألوان قرمزية يناثر أعلاها السحاب ويحيط بأسفلها النبات الأخضر الكثيف وإذا مامر المرء تحت الأشجار التي تحف بها سمع تفريد...
الطير التي عليها وخرير الماء الذي يجري في السواقي والقنوات القريبة منها.

وفي بهو قصر الحراء مائة عمود مربع رائعة في تناسقها وعقودها ذات التخاريم المزرعة. ولا يروع مثل منظر النافورة التي تحمل مائة وأثنتي عشر أسدًا من المرمر الأبيض يقفز كل أسد المياه من انبوب في فه يقول ادوارد الياس في كتابه (مهاجر الممالك) عن الحراء: لم يكتب من قال إن الذي بنى هذا القصر جمع كل ما وصلت علوم البشر من أنواع الزخارف وأضاف إليها فنون الجبن وقصورهم الفخمة.

وفي قرطبة التي كان سكانها نحو ألف ألف كان هناك نحو من مائتين وخمسين ألف بيت حين لم تكن مدينة في أوروبا تاوي إليها أكثر من ثلاثين ألفًا أو خمسين ألفًا على أكثر تقدير. وكان كل إنسان يستطيع أن يسافر في الليل عشرة أميال على ضوء مصباح الشوارع وبين صفين لا ينقطعان من المباني. وقد كان في قرطبة وحدها مائة وسبعين جارية تعمل في نقل المؤلفات لطلاب الكتب النادرة. وكان في قصر الخليفة أربعة آلاف كتاب. وكان سادات أوربة يفاخرون بما يقتضيه من
منسوحيتها أو مصوغاتها المعدنية أو آنية الفخار التي لا يعرف لها نظير في بلد آخر.

وهي أعظم مدن الأندلس من حيث الأبنية الجليلة ودور الكتب وحالتها البديعة وقد عرفت قرطبة بصناعة السروج ودباغة الجلود.

قال صاحب نفق الطيب أن عرب قرطبة كانوا يتفاخرون بثلاث: إصلاح البيت والجدية والعلم. وهي من أكثر مدن الأندلس كتبا وASHINGTON الكتاب لكثرة علمائها وكان للحكم الثاني في قرطبة مكتبة بها 2000 كتاب و44 فرسا. تردها الكتب من بغداد ودمشق وخراسان والاستانة وها 80 مدرسة جامعية يرد لها الطلاب من جميع أنحاء العالم. درس بها البابا سلفستر الثاني قبل أن يصبح بابا (999 م) وتخرج منها بطرس فرايل وقسيس كولونو وشانجه ملك ليون. وقد خرجت من العلماء أبو بكر بن يحيى وابن الغريض وأحمد بن عبد البر وخالد بن سعيد.

وتقع قرطبة على النشاط الغربي من نهر الوادي الكبير، بينا وبين البحر خمسة أيام ليس لها في المغرب شبيه. بها ستانة مسجد وخمسين مستقيما وتسعة جام سوق وتسعة عشر برجا.
عبد الرحمن الداخل القصر الكبير. وشهد بها المنصور قصر الزهراء (320 هـ) على نهر الوادي الكبير وليس أدل على عظمة قرطبة من شارعها الأكبر بطول عشرة أميال يضاء ليلا للبارة حيث كانت لندن مظللة ليلا إلى تسعينات عام وكانت قرطبة مرصوفة بالاحجار في حين كانت باريس مركزاً لللاوحل والمياه التي تغوص فيها الأرجل إلى الركب في فصل الشتاء.

وفي فزان تجد المدينة ذات الطابقين؛ الطابق الأرضي للرجال والطابق العلوي للنساء. والنساء أسواق 검 ومارسن أعمالهن في طابقين بعيداً عن أعين الرجال. وكانت الفزلان ترتع على بعد مئات الأمتار من المدينة دون أن يضايقها أحد أو يعكر صفوها.

ني يوسف بن تاسفين الدار البيضاء. وبنى الكامل العادل ابن أيوب مدينة المنصوره واختار عبد الله المهدي مدينة المهدي. وأسس جوهر القائد مدينة القاهرة وبنى أحمد بن طولون مدينة القطائع. وبنى إبراهيم بن الاغلب مدينة العباسي. وبنى المعتصم سر من رأى وشيذ السمح بن مالك الحولاني مدينة قرطبة وبنى
عبد الرحمن الناصر مدينة الزهراء، وابن أبي المنصور بن عامر مدينة الزاهرة.

وشيد أبي يوسف بن تاشفيق مناره إشبيلية، وبنى المنصور بغداد، وبنى المهدي الرصافة. وبنى الحجاج مدينة واسط، وشيد سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة. وشيد عقبة بن نافع الفهري مدينة القيروان، وشيد سعد بن أبي وقاص مدينة الكروبة. فإذا ذهبنا نستقصى عمليات الدفاع، وبناء الإبراج ورثاء القلاع، فنناك قلعة حمص، وإبراجها الرومانية، وقلعة حلب، وقصة سيف الدولة، وقلاع حلب تعد من أجمل وأعظم التحصينات العسكرية تتنبط، من الفتوح والمهار.

فإذا سألنا عن المساجد، وجدنا، جامع قرطبة، وجامع الزيتون، وجامع القيروان، والجامع الاموي في دمشق. هذا المسجد الذي استمر بناؤه عشر سنوات، بلغت نفقاته 5 مليون و1000 دينار، وعمل في بنائه 14 ألف عامل من العرب.

قال الوليد لأهل دمشق: انتم تفخرون على الناس بارع، بهوتكم ومشاركم، ففتكتم وجمعتكم. فأحبت أن أزيدكم عاصمة...
وهي هذا المسجد. وقد رصع عروابه بالجوهر وصور فوقه بالفسيفساء.

قال ابن الفقيه الرحالة العربي في وصفه: إن الإنسان لو بقى سنة ارتأى فيه كل يوم لأحوجه لم يرها من قبل، أرضه ممر مفروش كسا جدرانه إلى أوساطه رخاما جزرا ونصبت الأعمدة من الرخام الموشي، أبيض وأحمر وأخضر مرسوش واسود.

أما مسجد قرطبة فهو أروع أمثلة العارة العربية في العصر الأوسط لما احتوى عليه من ابتكارات عمارية وزخارف. بدأ تشييده سنة 129 ه وزيدت مساحتها إلى الضعفين. وللسجد تسع عشر رواقا وتسعة عشر بابا يتسع بيت الصلاة والهو ما يقرب من أربعين ألفاً من المسلمين ويتمد في بيت الصلاة أكثر من ستين عقد وصفه أحد المؤرخين العرب بقوله: إنه قد قوس أحكم تقويس وورشم بثل ريش الطواريس. حتى كأنه باجرية مقرطن وبقوس قزح منطق وعلى قبته قلل مهلة كأنها نيجان مرصنع فيها قاقوت ومرجان.

3 - ومسجد قرطبة: له مذينة ضخمة عدت من عجانب الدنيا - له تسعة عشر بابا تحيط به عقود على شكل حذاء الفرس.
ونقشت عليها في الحنجر ببراعة فائقة زخارف مكونة من أزهار وأشكال هندسية.

والمسجد يحتوي على أجرية 139 عاموداً واحد عشر ديواناً وواحد وعشرين دلهراً وبه 286 ثرياً يتدلى منها 967 قنديلًا من الزيت عدا الشمعدانات الكبيرة الضخمة المصنوعة من الفضة الخالصة وهي تستمد زيتها من خزانات مصنوعة من نوافيس مQUAL и علاقة هي الأخرى في السقف المشيد المؤلف من 700 ألف قطعة من العاج والأخشاب الامية كالبنوس والانورج وعود الند والنصل الأحمر والأصفر مثبتة كلها بمسامير من الذهب والفضة ومطامنة بالجزر.

ويصرف عليها سنوياً 44 ألف رطل من الزيت و200 رطل من العنب والعود قال سيديو. وكانت المدينة تصبح مضيئة وحرايتها مطية بما يأتي فيها من الزهور مع استعمال الألحان المطرية في المنزهات العامة.

4 - أما القصور فكان هناك جزيرة بأنابيب معدنية لتوزيع المياه على الأجنحة وإن الماء كان يجري دائمًا أثناء الشتاء وباردةً مثلاً في أيام الصيف. وإن جهاز التهوية الصناعية كانت
في الأشياء التي اقترحها العرب في فن البناء واستخدمت لأول مرة في قصور الأندلس فقال المؤرخون أنه بينما كانت القصور العربية متاحفاً للفنون الرفيعة كانت منازل أمراء ألمانيا وفرنسا وإنجلترا لا تفضل حظائر الماشية في شيء فوق بلا مداخن أو نوافذ وكان المخرج الذي يسمى إلى فضاء الجيو كوة في أعلى السقف ينصفر منها الدخان.

- 5 -

فإذا مضينا نرتاد الجامعات والمعاهد والمدارس وجدنا نموذجاً عالياً من تقدير الثقافة ورعاية العلم والاندفاع في سبيل الترجمة والإبداع وإضاءة شعلة العلم.

فهذه النظامية في بغداد بناها الحسن بن علي، نظام الملك، وزير ملكشاه السلجوقى وتخرج منها أبو إسحق شيرازي كبير فقهاء الشافعية وأبو حامد الغزالي والمستنصرية التي بلغ ما أوقف عليها من المقارات أكثر من سبعين ألف مقال سنوياً وقد زارها ابن بطوطة وحضر التدريس فيها انشأها نظام الملك على شاطئ دجلة 427 ه وبنى حولها أسواقاً وقباً عليها.

- 27 -
وأسس الأمون مدرسة بغداد في 117 ه ومماها يبت الحكماء
وعد بها إلى يحيى بن ماسوحة وكان من المؤلفين في السرائبية
والعربية وكانت مقالاته في الحيات العمدة في دراسة تلك الأمراض
زمنا طويلا وفيا ترجهم حنين بن إسماعيل مقالات أقليدس ومؤلفات
جالينوس وكتابات ابقراط وارخميدس.

وفي دمشق كانت هناك الجامعية مدرسة صلاح الدين
والمدرسة العدلية ومكتبة الظاهرية والمستنصرية وكان بها من
الكتب الوافرة. هذا سوء ما أحرق في الأندلس وأغرق في دجلة
وقد عاشت جامعات الغرب على منقلته من الأندلس من كتب
ابن سينا وابن رشد والادريس والبهروني. دهرًا طويلا.

وقد قامت مدرسة سالرنو الطبية في جنوب إيطاليا على
تراث الثقافة العربية التي سادت صقلية وجنوب إيطاليا
زهاء قرون ونرى دور جامعٍ في أوربا. وهي جامعة نابولي
(1224م) كان يدرس فيها أرسطو بشروج ابن رشد. كما درس
فيها الجبر العربي والحساب العربي ودخلت الأعداد العربية محل
الإعداد الروماني.
4 - وهنا في القاهرة: الأزهر ودار المحكمة لها تاريخها المعروف، كانت مدرسة السلطان حسن للاستغلال لدارها في الدنيا... كَأَقَال المؤرخ الظاهر، فقد حكي الملك الناصر حسن لما أمر بعاريها طلب مهندسين من أقطار الأرض وأمرهم بعارة مدرسة لم يعرف أعظم منها فعمرت، وهي جامع من عجائب الدنيا...

4 - بنى عبد الرحمن الثالث في عاصمة الأندلس ٢٧ مدرسة بجانبها... وظلت النظام في بغداد والزبونة في المغرب والأزهر في القاهرة مع جامعة قطرية تدم العالم بالضياء.

وكان إيرادات عبد الرحمن الثالث ٢ مليون دينار ذهبي قال (ول دبوران): إنها كانت تفوق إيرادات حكومات البلاد اللاتينية مجتمعة.

وكان عمال الحكم الخليفة الأندلسي يفقدون المكاتب في دمشق والاسكندرية وبغداد يبناو الخطوط وينسخونها وجلبوا منها إلى الأندلس ٤٠٠ ألف مجلد.

وقال دوزر إن كل فرد من أفراد الأندلس كان يحسن الكتابة والقراءة وفي جامعة قطرية كانوا يدسون الفقه والرياضيات والكيمياء والطب والعلوم الشرعية والفلسفية والفقه وبلغ عدد...
من اهمها الآلاف وكانت أجازتها من أهم المؤهلات لشغل أعمق المناصب.

وكانت صناعة الورق من أم، ما اسداه العرب لأوروبا.

وقد أقام المهندسون العرب على نهر الوادي الكبير الهادي الجربان جسراً من الحجارة ذا سبعة عشر عقداً عرض كل واحد منها خمسون شبراً. يقول (إج كريستي) سرعان ما أصبح العرب أنظف البنائين.

كانت عبقريتهم قد انبثقت أراء هندسية ذات مفاهيم عميقة فنية. وكان النحاتون على الجدران والحفارون في الخشب فيناء المهارة ومن أبرز مظاهر الخرَفِ استعمال الخطوط العربية كآية من القرآن أو بيت من الشعر كثيراً ما تجدها تحيط حافة أو أفريزا أو تملأ شكلاً هندسياً أنيقاً.

وكان العرب أول من استحدث حدائق الحيوان وكانوا يسمونها (حير الوحش) وقد حولوا وديان آسيا المجردة إلى حدائق زاهرة ونقلاً لها مختلف الفرس من الشرق.

 وأنشأوا بها القناطر العظيمة.

- ٤٠ -
والعرب فضيلهم في تحسين نسل الخيل وما تزال في جنوب فرنسا جهات تبهر بجمال خيولها ونبل أرومتها.

6 - وفي ميدان الدبلوماسية أرسل العرب أول سفارة لبلاد الروس حيث رأس الوفد أحمد بن فضلاني الذي قصد إلى بلاد نهر (الفولجا) عند روسيا استجابة لدولة ملكها. وعاد بعد قربة عام كامل من رحلته (921 هـ - 1515 م) وكان أشعار الدعوة في الصقالبة الذين يسكنون حول نهر الفولجا يمتد ملكهم حتى يبلغ قرب فارس.

وقد سافر الوفد إلى فارس بالهروان حتى وصل بخارى خوارزم، وتبعاه مسؤولا وأرادوا عبر نهر جيحون تجديد النهر فانتظروه شماني شهور وقال ابن فضلاني لقد نظرت إلى الله.

وهي قطعة واحدة من اللحم حتى كنت أدميها من النار.

7 - أما بطية الراشيد إلى شارلز فقدمت بعد مكاتبات دارت بينهما وقد أكرمه الراشيد وفادة ملك الفرنج وأوفده إليه سفراء، هدية فحمها من خيمة عربية وساعة مانعة وأثواب حريرية وتحف من الذهب وسبط من طبرستان وعطور من اليمن والجزر وقردة وقيل ومسك وأعود من الهند وشطرنج بديع الحسن من العاج المتقوش ومفاتيح قبر المسيح.

- 1 -
حيثا تسير تجدر التاريخ العربي برسم علامته بجوار الآثار الرومانية والفرعونية والبابلية والفينيقية. وقد خرج العرب من الأندلس ولكن آثارهم لا تزال هناك قائمة شاهدة على عظيمهم.

يقول أحد المؤرخين المعاصرين: لقد عثرت في كتاب قديم عن تاريخ مصر يصف فيها مؤرخ غربي سوق القاهرة: يقول وجدت في السوق زجاج فينيسيا وزخرف فرنسا وجلود بلغاريا.

وإذا كان العرب قد وصلوا إلى إثيوبيا إلى جنوب إفريقيا وإلى الأندلس في المغرب فن العقول أنهم عبروا البحر الأبيض ووصلوا إلى بلغاريا. ومن هذا نظن أن القرون الوسطى لم تكن مظلمة - على الأقل بالنسبة للعرب - وإن ماشاع عن القرون الوسطى فيه ظل كثير.

لا نقول إن العرب كانوا مصدرا هاما في بناء أوروبا.

لقد تقلوا إليها كل التراث اليوناني القديم.

فإذا ذهبنا نستقصى تلك الحقائق الدقيقة وجدنا إنه كان في بغداد عام ١٩٣٢٠ هـ -٥٦٠ ميلاديا - مختصا. وأن جبريل 

-٤٢ -
بن اختيوشع طبيب هارون الرشيد والمأمون والبرامكة جمع ثروة تقدر بنحو 88 مليون درهم.

وإن الطبيب يوحنا بن ماسويه (777 - 857) درس التشريح بتقليط أجسام القردة. وأن حنين بن اسحق كتب أقدم دراسة عن طب العيون.

وإن الرازي كشف طرقاً جديدة في العلاج كرامهم الرئيسي واستخدام أمم الحيوان في التقطيف. وقد ظلت صوره الرازي وإن سينا معلقين في مدرسة الطب بجامعة باريس إلى عهد قريب فإن سينا أعظم من كتب في الطب.

والرازي أعظم الأطباء.
والبيروني أعظم الجغرافيين.
وإن الهيثم أعظم علماء البصريات.
وجابر بن حيان أعظم الكيميائيين. والفارابي إمام الفاسفة.
والخوارزمي أبو الرياح. وحنين بن اسحق عميد علم الفلك.

وقصور العرب في الحبأرة والزهراء نموذج من الفن مستقل عن الفن القوطي والمارسي والرومانى واليونانى. وإن الإنجليز.
لم يتركوا في الهند من آثار مثل مات ترك العرب في الأندلس بالرغم من أن أمدهم بالهند كان أطول. وقد عرف العرب بطابع النخلة العربية بقامتها الهيباء. وفروعها التي تتلاقى في عقود المراعيات.

يقول جوستاف لوبيز: بلغ خصب القلب الأندلسي غائته في قصر الحمرا وهو على ماسه من غلو في الهراف ترواه وليد الذوق الرقيق الذي لا يتجلى مثله في آثار دور منحت. مع أن جدران قصر الحمرا مصنوعة من مزيج من الكلس والرمل والصلصال والحصى، لا من الحجارة المنحوتة ومع أن زخارفه من الجص المضروب في القوالب فإنه قد قام نقلبات الجو خمسة قرون.

وكما تتحدث قصة النخل في العراق يتحدث الفطن في مصر والنفاح في لبنان، وخمس مليون شجرة من الزيتون في المغرب تصدر منها ١٠ آلاف قنطار غرسها الملك الشاعر المعتمد ابن عباد في أحذن.

أما العراق فيذحجو في المائة من بمجوع تمور العالم.
(78 مليون نحلة) تصدر سنوياً 530 ألف طن سنوياً.

وفي الشام من العنب أكثر من خمسين نوعاً من التفاح فوق الثلاثين ولانتذكر لبنان إلا وذكر معها (الأرز) الذي عرف منذ الفينون السحر في تكوينه وصلابة في تتخلد السنين والتي مازالت قائمة أشجاره التي زرعت قبل المسيح إلى اليوم. وكذلك الصنوبر وفي يثبة آثارها وأعمدتها وفيها أشجار الشمس والحوور ومرك كاب أهل صور وصيدا وطرابلس (أم قرطاجنة) التي صنعوها من خشب الأرز وشقوا بها عباب بحر العرب.

وهناك قلعة السفيف في صور وقلعة البحر في صيدا. وهيكلاً عطارد وجوبيتير في يثبة.

وهناك جبل الزيتون في فلسطين حيث صعد المسيح. وجبل الأطلس الشائع في المغرب كله يربط الأقطار ويرسم صورة التاريخ الموحد والواقع المتحد.

وقد وجد المؤرخون بين جبال أطلس وجبال العرب في اليمن تقارباً وشيواً.

و및 قاسيون الذي يعلو عن وجه البحر 1300 متراً وعن
مدينة 500 متر وقد ارتفعت منار حي المهاجرين والصالحية ثم شمل علوها.

وقرى لبنان الجبلية المنتشرة على سفح الجبال، وفي منحنى الأودية على علو الألفين من الأمتار حتى شاطئ البحر، وكذلك درته جوهرة البحر الأبيض والجبل الأخضر الذي يقع بين مدينة تلي غازى من البحر ودرة من الشرق وطوله ثلاثمائة كيلو، يمتاز بالغابات الكثيفة في سحر الصنوبر والأرز الحدوب والصفصاف، ووديانه العميقة ومنخفضاته وطرقه المعدودة حيث الباكرة كالخوخ والتفاح، ومساحات الماء والينابيع في شهات وراس الهلالي وعين ماره.

كانت هناك 600 سفينة تصيد اللؤلؤ في البحر، وجمعة 50 مليون روبية. ومنذ خمسة آلاف سنة كان ذلك الشاطئ العربي في الخليج بين الكويت والبحرين ومسقط وعمان ينزل رجل عربي يجمع المحار من قاع البحر في رئيل معه وينصع عشرة مرات في اليوم، ويظل على ذلك سنين يومًا وليلة لا يرى خلا لها الأرض.

- 46 -
الثقافة العربية

اعترف المؤرخون والعلماء والباحثون بفضل العرب على الثقافة العالمية ولم يقف ذلك عند أثر اليونان وترجمتها بل زادوا فيها وأضافوا إليها.

يقول الدكتور سرطان أن لولا نقل العرب كنوز المحكمة اليونانية والمحافظة عليها لتأخر سير المدنية بضعة قرون، لقد كانوا أعظم علماء في العلم، زادوا كثيراً على العلوم التي أخذوها أو جملوها على درجة جيدة بالاعتبار من حيث الفروع والارتباط.

ويقول (دي فو): أن الميزات العلمي التي تركها اليونان ليحسن الرومان القيام عليه، أما للعرب فقد انقبحوها وحفظوها وعملوا على تحسينها وأتمها حتى أسلوها للعصور الحديثة.

ويقول سيديو: إن إنتاج أقطار العرب والمسلمين يشهد بأنهم أساتذة أوروبا في جميع فروع النهضة.

- 47 -
ويقول مسيو ليبرى: "لو أزيل العرب من التاريخ لتأثرت النهضة الأدبية في أوروبا بضعة قرون، وأنه في أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا لا تزال تناقش في جامعة منديلية بفرنسا وأن الأمة العربية على الغرب بعد أن أيقظته خمسة قرون أو ستة.

2. وفي الجغرافيا صمم العرب أخطاء بطائروس وأظهروا خطأ الرومان القائلين بتسليط الأرض ورسموا الخرائط الخشنة ببلادهم. وقد أثبت أبو الفداء في جغرافيته المسماة تقويم البلدان أن الأرض كروية وأنها في الوسط. وعمل الادريس حرة خصة للملك روجر الثاني ملك صقلية في وزن 200 رطل روبي رسم عليها صورة الأرض ووصف أشكالها.

وقد وصل العرب في البحر إلى التركستان الروسي والصينية، وبلاد المغول والصين وإلى شواطئ آسيا الشرقية، واكتشفوا جزر الحالدات (كناري) غرب شمالي إفريقية وغزوا عباب المحيط الأطلسي إلى مسافات بعيدة، وتجولوا بقوافلهم في السودان والصحراء الكبرى حتى بلاد غانه.

وقال المؤرخ كوندي أن الأسطول العربي أبحر في الجيل العاشر...
من ميناء نسبونا مكتشفًا جزر الأسود.some جزء وبعض جزر الأنتيل
فكان أول من مزق الحجب عن المناطق المجهولة في الإقليم
وعلنت العرب بموقع المحور الكبير للبحر المتوسط بين طنجة
وطبرلس والشام.

كما وصل بعض المغامرين العرب إلى سويسرا بعد أن اختُلقت
جبال درفينه وجبال سنيس (890–906) حتى بحيرة
(كستانس) الواقعة بين سويسرا وألمانيا وقد كشف العرب
النقاب عن بلاد كثيرة من الأرض لم يعرفها الأوروبيون إلا
وأن أول من اخترع رقاص الساعة هو أبو الحسن العباسي المشهور
يان يونس وقد أهدي هارون الرشيد إلى شارل ملك فرنسا
الساعات الدقيقة، وكانت هناك في مدرسة الطب في بغداد الساعه
التي وضعتها المنتصر العباسي وهي على صورة الفلك الدائر
والصانع مصنوعان من الذهب.

وفي الموسوي كان للعرب دور كبير في عصر الذهب والإصلاحات
أوردها المسوؤلون في مروج الذهب والاصطخان في الأمازيغ وغيرها
4— وأنشأ العرب الكثير من البارود وغيرها
الدقيقة الكبيرة الفائدة، وأول من أوجدوا عليها طول الدرجة

— 49 —
من خط نصف النهار. وقالوا بمناسبة الارض ودورانها على مورها.

واختبروا آلة الاستواصل الدقيقة وحققوا مواقع كثيرة
من النجوم وحسبوا طول السنة الشمسية. وبحوث كلف الشمس
قبل الأرئيين ووضعوا جداول دقيقة في النجوم الثوابت
وصوروها في خرائط.

وكان ابن الهيثم في القرن السادس الهجري (12 ميلادي)
أول من اكتشف حقيقة انكسار أشعة الضوء. وقال الجاحظ أن
العرب علكل ملحة البحر وعذوبة المطر واحترق الحطب
واحترق الزيت في المصباح وصعود الهواء. وانحدار الماء
لا بالعذبة والثقل النوعي بل بانحذاب الأجسام بعضها
إلى بعض.

وللعرب في ميدان الطب مجال كبير. يقول (ولاز)
لقد ازدهر علم الطب والتداوي عند العرب على حين كان الأوروبيون
يحرون هذا العلم الشريف ويعتبرون أربابه وكانوا تداويهم بالرقى
والتعاذي وقد كان جراحو العرب يزاولون العمليات الجراحية
الكبرى بطريقة علمية.
وأطباء العرب هم أول من وضع أسس الكيمياء. أو مارسوا أعمال التصوير والترشيح والتصميم والتبليغ والبورة، والتدوير والالغام والتطليس، وهم الذين استحضروا الكحول والقالب والبوق والزرنيخ والبوتاس والأنهام وزيت الزاج، والمحاض الكبريتيك، والزاج الأخضر، وماء الفضة، والحامض الشنيك، وحجر جهنم، نترات الفضة، وملح البارود، نترات البوتاس، والسليماء، والراسب الأحمر، أكسيد الزئبق، وروح النشادر وملح النشادر وملح الطرطير وملح الذهب والبارود.

وهم أول من فتتوا الخصى في المثانة، وسدو الشرابين النازفة، وخربوا في الجزام والحصبة والجدرى وعذوى الطاعون واستعملوا المرقد، المخدر، وكشفوا النقاب عن الدورة الدموية ودودة الانكلستوما. ولقد ظلت القلفيات كلهام معروفة باسمها العربي في جامعات أوروبا حتى اليوم، وقد قيل أن أهم الخواص وهو ماء الفضة لم يوصف في كتاب عربي قبل كتاب جابر بن حيان. وأن ملح البارود من تحضيرات تلاميذ العرب. وكان أطباء العرب يصنعون خيوط الجراح من ماء القطط حتى إذا خيطت به الجراح التأمت وحفظ الحيط دون حاجة إلى زرعه.
ولم تعرف جامعة لوفان إلى القرن السابع عشر مرجعاً للطب والعقاقير. وفي من كتب الرازي وابن سينا وابن الهيثم وأن أطباء العرب صححوا آراء أبقراط وجالينوس في التشريح ووظائف الأعضاء.

هـ - وعرف العرب خاصة الجذب في المغناطيس وخاصة اتجاهه. وعرف موسي بن شاكر مادة تركيب ميكانيكي. وعلموا صعود الماء في العيون والفوارات وجمع الماء في الآبار والقنوات واستعملوا السيفون وسموه، السحار، وعرفوا كثافة الذهب والرصاص.

وبحثوا في الصوت وحصوته وعلموا حدوث الصدى وفي الأوتار واهتزازها وعرفوا ما بينطول اليوت وغلظه وتأثره من علاقة ينقول جوئية ولقد علمنا العرب صنع البلاود وعمل إبرة السفينة وعلمنا أن نقدر دائمداً الشوط الذي كانت تقضيه مدنتنا لول ينتمي على مختلفات المدنية العربية. ولقد عرف العرب قبل غيرهم آلة الظل والماريا المحرقة بالدوائر.

بـ - وافتتب العرب الأرقام الهندسية وسبيها، وأوجدوا لها طريقة مبتكرة وهي الأحصاء العشري باستعمال الصفر.
وألف الخوارزمي أول كتاب في الجبر. واستعمل العرب الرموز في الرياضة قبل الآخرين، وهموا الكشف عن اللوغارات وفن التسكم والتفاضل.

7 - وفي مفردات ابن البيطار أسماء... وعقار منها أربعة

عقار لم يعرفه اليونانيون وقد حدد العرب منافها ومضارها.

ومن أجل علامة العرب في النباتات والادوية المفردة ابن جلجل والفلكي والداريسي وابن الصوري وابن البيطار.

وقد نقل الفريقون إلى لغاتهم أكثر من خمسة إسماً عربياً أو معركة كما أن أكثر من ثلاثمائة كتاب في الطب نُقِّت من اللاتينية إلى العربية.

9 - وأول مصنع للورق في سميرقند سنة 761 وأول مصنع في بغداد في زمن الرشيد، ثم دمشق ودمياط ومراكش وصقلية واسبانيا. كما صنعت المرايا والبلور في سوريا ومنها انتقلت إلى الهند.

كما نقل القطن إلى الأندلس وصقلية، وانتشر من الصين زراعة قصب السكر واستخراج السكر منه ودخلوها إلى مصر وصقلية والأندلس.

- 52 -
10 والعرب أول من نقل القمح الأصغر الذي هو الآن أهم
حاصل في فرنسا وقد حمل العرب فسائلاً للنخيل من إسبانيا وأفريقيا
إلى شاطئ الريفيرا ومن أثارهم في صناعة استخراج القطران
الذي ينطلق به قاع السفن وبحميها من العطب. وعرف فضل العرب
في تحسين نسل الخيل في إسبانيا، حتى أن الخيول الأصلية في
مقاطعه لاند وكاما راج في جنوب فرنسا كانت من سلالة الخيول
العربية التي أحضرها الفرسان المسلمون إلى تلك الاباح.

11 - وقد ذكر فوستر وغيره من الكتباء والمورخين أن
أول ساحة عرفت في أوروبا هي الساعة التي اهداها هارون الرشيد
إلى شارل ملك فرنسا سنة 867 وكانت بدت في ذلك العصر حتى
أنها أورثت رجال الديوان حيرة وذهولا.

كان لها أثنا عشر بابا بعد الساعات فكلها مضت ساعة فتح باب
وخرجت منه كرات من نحاس صغيرة تقع على جرس قبطان بعدد
الساعات، وتبقي الأبواب مفتوحة وحيدان تخرج صور اثني عشر
فارسا على خيل تدور صفحة الساعة.

12 - وهناك الساعة المائية التي وصفها ابن جبير وكانت في
الجامع الأموي الكبير قال د عن يمين الخارج من جبرون جوز أر
البلاط الذي أمامه غرفة لها هيئة طاق كبير مستدير بطريقان صفر قد قبعت أبواب صغير على عدد ساعات النهار. ودمرت تدريجاً هندياً فند انقضاء ساعة من النهار تسقط صانعان من صفر من فتى بابين مصورين من صفر قائمين على طستان من صفر تحت كل واحد منها. أخذها تحت أول باب من تلك الأبواب والثاني تحت آخرها والطستان مشوحتان فند وقوع البندقين فيها تعودان داخل الجدار إلى الغرفة. وتبشر البابين يمدان عنقها بالبندقين إلى الطستانين. يقذفانهما بسرعة تدبير عجيب تتخيله الأوهام سمراً. وعند وقوع البندقين في الطستانين يسمع لها دوى. وينقل الباب الذي هو لتلك الساعة للحين بلوح من الصفر. ولازال كذلك عند انقضاء ساعة من النهار حتى تنغمل الأبواب كلها وتنضير الساعات فتفتق الأبواب كلما ثم تعود إلى حالتها الأولى.

وهي بالليل تدبير آخر. ذلك أن القويس المعطف على الطيان المذكورة اثنتي عشر دائرة من النحاس مربعة في كل دائرة زجاجة وخلف الزجاج مصابيح يدور بها الماء على ترتيب مقدار الساعة فإذا انقضت عم الزجاجة ضوء المصابيح وافاض على الدائرة شعاعاً فلا حك دائرة مدمرة ثم تنتقل إلى الأخرى حتى تنقضي ساعات الليل.
وقد وكل بها من يدير شأنها في بعيد فتتج الأبواب ويشرح الصنج إلى وضعها وهي التي تسمى المبقانية،

ـ 2ـ

فإذا (1) ذهبنا نستقصى أعلام الثقافة ورجال العلم وجدنا عبقريات واضحة دلاتها ( جابر بن حناية ) في الكيمياء قال عنه برتيلو أن ابتكاراته في الكيمياء كانت المعين الذي استقى منه الباحثون في ذلك العلم.

وهو أول من استحضر الحامض الكبريتيك بتطيره من الشبه وسماه (زيت الزجاج) واستحضر أيضًا حامض الفريريك— وأول من كشف الصودا الكاوية— وأول من استحضر ماء الذهب وكانت زينة أضيق ما وجد من نوعه عند العرب ولا مكتشفات رياضية فلكية. ولقد لقب بطليموس العرب لثبات قدمه في علم الفلك و튼سه فيه. و (الخوارزمي) في عصر الأمون— وهو أول من روز في الرياضيات والفلك وأول من وضع علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب. وقد وضع هــذـا العلم في أواسط القرن

(1) ترات العرب العلمي : قدرى حافظ طوقان

ـ 56ـ
التاسع الميلادي وعنه أخذته أوروبا في أواخر القرن الرابع عشر
وقد ترجمت مقالته إلى اللاتينية واتخذت أساساً لتدريس الجبر
في عصر النهضة العلمية في أوروبا.

و (الرازي) الذي ظهر في منتصف القرن السابع للبيلاذ:
اشتهر بالطب والطباعة والكيمياء. كتابه الحاوي من أفخم كتبه
ترجم إلى اللاتينية واعتمد عليه علماء أوروبا. وبنى مرجعهم إلى
منتصف القرن الرابع عشر الميلادي وقد استغل بالكيمياء
واستكشف ماسماه زيت الراج وهو الحامض الكبريتيك
والكحول.

و (ابن سينا) أعظم علماء الإسلام يلقبه كتاب الإفرنج
بارسطو وأبقراط وقال الشهرستانى إن طريقة ابن سينا أدق عند
الجماعة ونظره في الحقائق أقحص. كتابه (القانون) من أكبر
مؤلفاته الطبية وأنفسها قالوا: الطب كان نافصاً وكهله ابن سينا
وله كتاب الشفاء في 18 جلدًا و (البيروني) من ألم علماء العرب
قال عليه (سنجو) إنه أعظم عقلية عرفها التاريخ والغربون مدينون
له بعلومهم عن الهند وآثرها في العلوم و (البناي) معدود
من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله. أضاف بحوثاً مبتكرة

- 57 -
في الفلك والجبر والمثلثات، ورصد الكواكب والأجرام السماوية (ابن الهميم) قيل لولاهم ما كان علم البصريات على ما هو الآن، أخذ عنه كثير معلوماته عن الضوء ولاستحماها في يتعلق بانكساره في الجو وقالوا: إنه أعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة، وكتابه المناظر أولى كتاب عن الضوء. وقد أقامه على الاستقرار والقياس والاعتماد على المشاهدة والتجربة وفي دائرة المعارف البريطانية أن ابن الهميم قد أوجى كتابه عن الضوء إلى اختراع النظارات وأن علماء القرون الوسطى أمثال روجر بابكون وبول واتيلو وليون دوفنشي قد اعتمدوا على كتاباته واقتبسوا منها معظم بحوثهم في مختلف الموضوعات.

و (ابن خلدون) يقول مكدونالد أن مقدمته هي أساس فلسفة التاريخ وحجر الزاوية فيه. قالوا: إن أحداً لم ينسخ على منوالها قبلها حتى علامة اليونان والرومان. فقد استطاعت العلامة العربية أن ينفذ إلى الظواهر الاجتماعية عالما اقتصاديا وفلاسفة راسخاً.

وقال المؤرخون: إن الزهراوي أعظم طبيب في الجراحة العربية، وأهماء النساء والمسالك البولية وهو الذي تحدث عن
الإورام وقد استعمل مائة وخمسين آلة دقيقة في العمليات الجراحية وهو أول من ربط الهرمونات وأجري عملية استخراج الحصاة عند النساء عن طريق الميل وأن عباس بن فراس حاول الطيران وانخرط صناعة الزجاج من الحجارة وكتب في الموسيقى (الغرام) في نظر الباحثين في دراسته للدولة أو المدنية يقارن بينها وبين جسم الإنسان هو أسبق من الفيلسوف هربت سنير الذي عمد إلى نفس هذه المقارنة، فالغرام يشبه الملك بالقلب وأصحاب المهن الحرة بأعضاء الجسم والشرطة بعصب الإنسان والوزراء بحسن الإدراك والقصة بالشعور.

وقد عرف العرب قدر العلماء والمكتبات ولذلك فقد دارت أبحاث طويلة عن مكتبة الإسكندرية وهل أحرقها العرب؟ وكان هولاكو القورة قد أغار على بغداد سنة ٦٥٢ وأمر بالقاء الكتب العربية التي في خزائنا إلى نهر دجلة، كما أمر أن يبني بجزء منها استطلالات للخيل ومزاود للبقر بدلا من الأجر، وكان الفروجة عندما فتحوا طرابلس الشام في الحروب
الصليبية قد أحروتوا داركتها بأمر قائدهم (الكونت برتران ده سانجيل) وكذلك فعل الأسبانيون بكتبات الإندلس عندما انتزعوها من أبدي العرب.

كما أحرق الفرنسيون كل الكتب العربية المطبوعة والخطوطة التي وجدوها بكتبات قسنطينة عندما احتلوا الجزائر.

ولكن هل فعل العرب فعلهم؟ قال أبو الفرج الملكي المؤرخ فيها يروى عن يوحنا النحوي:
أن عمرو بن العاص أحرق مكتبة الإسكندرية ببناء على أمر الخليفة وروى أن عمر بن الخطاب قال، إن كان في هذه الكتب ما يوافق كتاب الله فهى كتاب الله عنه غنى، وإن كان مافيها يخالف كتاب الله فلا حاجة لنا به.

قيل فوزها عمر على حمامات الإسكندرية وأحرقت في مواقدها واستنفقت في سعة شهر.

ولكن يوحنا النحوي الذي تصدى إليه هذه الرواية مات قبل بقية عمرو بن العاص إلى مصر. وأن حمامات الإسكندرية كانت حوالي أربعة آلاف حمام وليس معقولا أن هذه الكتب مهما كان عددها تشمل النار أكثر من ساعة.

- 10 -
وبشهادة بعض الرحلات الذين زاروا مصر في أواخر العصر الروماني أن هذه المكتبة لم تكن موجودة. فقد ذكر المؤرخ (زاريوس) الذي زار مصر في أواخر القرن الخامس الميلادي أنه لم يكن لهذه المكتبة أثر.

وكان كذلك قبل وصول العرب ...

ويقول جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب، أما حرق مكتبة الإسكندرية فين الأعمال الهجرية التي تأباهها سلاجق العرب وطبلائهم. وإذا لمعجب كيف جازت هذه النهضة طويلة حتى على بعض العلماء الأعلام.

وقد دحضت في زماننا بما لا يترك مجال للشك في براءة العرب منها، ومع أنني أرى من الغرور أن أحاول رد تلك الفرية عن العرب أذكر أن الأسانيد الصحيحة أجمع على أن غيرهم هم الذين أجروا مكتبة الإسكندرية قبل الفتح العربي بحذاء كاتب اندفعوا بها لهدم معابد المصريين وتماثيلهم وأنهم لم يتركوا للعرب كتاباً ليحرقوه.

وقد أسس مكتبة الإسكندرية أحد قواد الإسكندر (بطولو ماروس) مؤسس أسرة البطالمة التي حكمت مصر
في سنة 74 ق.م. ويرى بعض المؤرخين أن الرومان كانوا قد غزوا مصر وثارت مدينة الإسكندرية على يوليوس قيس. خاصر الإسكندريون القصر الملكي فأمر قيس بإحراق القصر وإحراق الأسطول المصري الذي كان راسياً في الميناء أمامه. وقد امتدت النيران من الأسطول ومن القصر إلى الجناح الذي كانت المكتبة تحته فاليهمت الجزء الأكبر منها.

إن كتاب أبو الفرج الملطي اليهودي الذي أورد هذه الرواية قد كتبه بعد ستمائة سنة من فتح العرب باللغة السريانية. وقال إنه نقله عن ابن القفطي في كتابه تراجم الحكماء.

وقد كتب ذلك الفرد باتور في كتابه فتح مصر كما كتبه جوستاف لوبون. وقال لوكير في المجلة العلمية الفرنسية أن مكتبة الإسكندرية لم تبق إلى عهد الفتح الإسلامي لمصر حتى يقال أن العرب أحرقوها وكتب هذه الرواية دائرة المعارف البريطانية والفرنسية.

- 62 -
اللغة العربية

أحرزت اللغة العربية تقدير الباحثين الأجانب المنصفين : فالعلامة فريتاغ الألمانى في معجمه الكبير عن اللاتينية والغربية يقول : 

"لا ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين تبغو في التأليف بها لا يكاد يأتى عليهم العد. وإن اختلافنا عليهم في الزمان والسماح والإخلاص أقام بيننا تبليغ الغرباء عن العربية، وبين ما ألقاه فيها حاجب لا تتبين ماوراءه إلا بصعوبة.

ويقول ماكس فانتاجو في كتابه المعجزة العربية : إن تأثير اللغة العربية في شكل تفكيرنا كبير وقد لاحظ ذلك الاجتماعي الكبير. شنجرل، وسجل ملاحظاته في كتابه، انهاي العرب.

.. لقد لعبت اللغة العربية دوراً أساسيًا كوسيلة لنشر المعارف وآلة للتفكير خلال المرحلة التاريخية التي بدأت حين احتكر العرب على حساب اليونان والرومان طريق الهند ثم انتهت حين خسروها.

- 13 -
وبالرغم من فوارق الجنس والعصر والأزياء واللهجات فالظاهرة أن العبقريات المختلفة كالخبراري والسينا والرشد والخلدون لمجرد كونهم مفكرين بالعربية تسمح لنا أن نسمى العصر الذي عاشوا فيه باسم القرون الوسطى العربية تماماً كما نسمى العصر السابق باسم التقدم اليوناني.

ويقول رينان في كتابه تاريخ اللغات السامية: إن من أغرب ما وقع في تاريخ البشر وصعب حل سره انتشار اللغة العربية فقد كانت هذه اللغة غير معروفة بادئًا فبدأت جفاة على غاية السكال سلسلة أي سلاسة، غنية أي غني، كاملة بحيث لم يدخل عليها من ذلك العهد إلى يومنا هذا أدنى تعديل تماً. فليس لها طفولة ولا شيخوخة، إذ ظهرت لأول أمرها ثانية مستكملة.

وإنه لم يمض على فتح الأندلس أكثر من خمسين سنة حتى اضطر رجال الدين إلى أن يترجموا صلواتهم بالعربية.

2 - ويقول المؤرخون إن أهل مصر تكالموا اللغة العربية نحو ثلاثة عشر قرناً ومن قبل كانت لهم لغة في الشمال ولغة في الجنوب كما أعرفوا اللغة اليونانية. وإن مصر هي البلد الوحيد الذي انقرضت لغاته القديمة لتجلب محلها اللغة العربية. وهذا خط
لم تفز به أي أمّة غير الأمة العربية وإن اللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية لم تتم في بلادها ربع المدة التي عاشتها اللغة العربية في بلادنا.

وقد عاشت اللغة العربية قرابة ألف وخمسين سنة وهي تؤدي مهمتها أداة الخطابة والكتابة والصحافة وإن هذا البقاء والنمو يكاد يكون معجزة في عالم اللغات.

و يقول محب الدين الخطيب: لقد اتخذ بعض اللاتينيين ديدنا لهم إظهار اللغة العربية الفصحى بمظهر لغة ميتة وغير مفهومة عند ثلاثة أرباع المتكلمين بها. أما لغة الكلام فهي في نظر هؤلاء اللاتينيين عبارة عن لهجات عامة لا ارتباط بينها ومسيرتها الفنا بعد زمن قليل.

ولكن حسب الإنسان أن يذهب إلى بلاد المشرق: إلى مصر وسوريا ليتجلى له بالبراءان القطع إن اللغة العربية التي ودت قبل أن يعين أجملها على عكس ما يذهبون إليه: لغة حية بكل مافي الحياة من قوة.

و ق در عن العرب بنقل آثار العلم عناية واضحة وقد جمل...
المؤمن في عقد الصلح بينه وبين ملوك الروم الشرقيين أن تعطيه إحدى مكتبات القسطنطينية التي كان بها من النخاتة المثبتة كتاب بطليموس في الرياضيات،

وقد نقل إلى بغداد مائة حج بعير من الكتب من أوروبا.
وكان في مكتبة دار الحكمة هارون الرشيد مئون كتاب.
وفي مكتبة نوح بن منصور سلطان بخارى في رواية ابن سينا حمل أربعمائة حج.
وفي مكتبة الحاكم بأمر الله في دار الحكمة ميلون و۱۰۰ ألف مجلد.
وفي مكتبة طرابلس التي أحورها الفرنجة مع مليون كتاب.
وقد كان لآل عمران في هذه المكتبات مائة ألف ناسخ تجري عليهم الأرزاق سنويا.
وفي الأندلس كان هناك ۷۰ مكتبة وكانت مكتبة عبد الرحمن الثالث في غرناطة تحوى ۵۰۰ ألف مجلد.
ويذكر المؤرخون قصر المدة التي قضاها العرب في ترجمة مؤلفات حكاية اليونان في لم ترد عن ۱۵۰ سنة. بدأ عملية الترجمة
أبو جعفر المنصور وتوسع المأمون في الترجمة وكان حذاق الترجمة من العرب أربعة: حنين بن أعشاق العباد ويعقوب بن أعشاق الكندی وثابت بن مرة المختاري وعمر بن الفرسان الطبري. وفي الاسكوريال بأسبانيا اليوم 60 ألف مجلد من الكتب العربية. خمسون ألف منها مطبوعة والباقي من نواير المخطوطات العربية واللاتينية واليونانية والعبرية.

وقد نقلت إليها مكتبة مولى زيدان سلطان مراكش سنة 1411 وقروماها ثلاثة آلاف مجلد.

وقد شبت النار في الاسكوريال فالتهمت كتبا ضخمة من هذه الكتب فلم يبق بها إلا أثني كتاب وذلك غير النار الذي أمر الكردينال خمس متران طليطلة بجمع جميع الكتب والآثار العربية في غربانة عام 1499 وقد نظمت اكداشا في ساحات المدينة واحتفلا بإحرقها ولم يستثن منها سوى ثلثمائة من كتب الطب وهبت لجامعة (السكالا).

6 - وكا ترجمنا التراث اليوناني تترجموا في أول عصر النهضة التراث العربي. وقد نقل اديلاودي بات المؤلفات التي حملها معه
من البلاد العربية إلى اللاتينية. وظهر بعده بعشرين سنة (ريمون راحات) أسقف طليطلة ومستشار ملك قشتالة فكان يجمع العلماء من اليهود والمسيحيين الذين يعرفون العربية طالبًا إليهم نقل أكبر عدد من الكتب العربية إلى اللاتينية.

ومن خير من عمل في هذا الميدان (جيرار الكرموني) ويدين له الأوزيون بالفضل للتعرف على النصوص اللاتينية الأولى للكتاب المجستى ومؤلفات ابن الهيثم والفارابي ومؤلفات جالينوس.

7 - تبين من البحث إن اللغة العربية أقدم لغة حية وإن كثيرة من الكلمات الإنجليزية واللاتينية واليونانية وغيرها تعود إلى أصل عربي. انبث ذلك انطون الياس في كتابه الذي ألفه باللغة الإسبانية ملتمسًا فيه الألفاظ التي من أصل عربي.
2 - البحر والرحلة

كогда أتيح للعرب اقتحام البحر ذل لهم وانقاد وكانوا من قبل يغافرون ويخذرون. ولا غرو فقد كانوا أهل بادية وصحرا. ولما إذن عمر بن الخطاب لمصر بن العاص ففتح مصر قال له لا تجعل بيني وبينك بحرًا فإذا عزرت على لقائكم ركبت دابتي فبلغت مصرًا دون أن يعصيني عنها ماء.

ولكن اسم البحر تردد بعد ذلك مرات والعرب يندفعون في الافق يفتحون الاقطار يستأنسون عمر في خوضه واقتحام لجنه وتتردد عمر وخشى على العرب ثم أراد أن يستوي من أمره فكتب إلى عمر بن العاص وراى مصر يسأله عن البحر: كيف هو وأجاب عمر. ولكنه كان ما يعاتبا في القول أو حريضا على ألا يسقه إليه وآل آخر. قال: إن البحر خلق كبير. يركبه خلق صغير. ليس إلا السياء واللماء. إن ركذ أحزن القلوب وإن ثار أزاغ العقول يزداد فيه اليقين قلة. والشئ كثرة. هم فيه
دور على عود. إن مال غرق. وإن نجا برق. .
وقال عمر: والله لا أحمل عليه أحداً
ولكن معاوية يلح مطالباً إلى القسطنطينية. مذرباً بأبا أساليب
غايه في البراعة حتى كتب له مرة يقول:
إن بعض قرى حمص ليسمع أهلها نباح كلاب الروم. وصباح
دجاجتهم يرقصوا مع الريح إذا هبت من صوب الغرب من فوق
أمواج ذلك البحر المخوف.
ولكن عمر أصر على موقفه.
ولكن الأمر كان أكبر من أن يوقف. فإن عزبة بن مهرمة
الأزدي لم يلبث حين غزا عمان أن ركب البحر مع أصحابه.
فلم علمن عمر عنفه واشتد عليه في القول...
ولكنه ما يلبث عمر أن يعبر إلى العالم الآخر، ويقوي عثيان
ويلح عليه معاوية حتى يأذن له الذي اشترط عليه إلا يعبر أحد
على ركوبه أو يحمل عليه أحداً إلا برضاه واختياره.
وقد أقبل العرب على البحر في الجولة الأولى بحاسة باللغة
وترواحوا، كل يريد أن يحرز قصب السبق، وكان على رأس
الكتابة الأولى عند الله بن قيس، الذي أتيح له من بعد أن يشهد خسارة غزوة بين شافع وماردة. كانت الكتابة الأولى فرحة استقبال البحر لأول مرة، حين شاهدت السماوات الصافية وهي تنطير على صفحة الماء عند نهاية الاقف، غير أن الأمر كان أشد خطرًا مما يتصورون عندما تحولت الرياح وعصفت وتلاطم الأمواج وأزيزت وحاج البحر، فرأى بوج كالجبال، غير أنه ذلك لم يفت في عضد الكتابة الأولى.

وسرعان ما علا صوت قيس وهو يرد في حنين جميل:

القارئات ثم ينجلينا...

فيردد أصحابه كلته وتتجاب الغمرة وتصفو الجو وينجل.

الاقف ويسكن الماء وتضى السفينة على أقطاب الماء رخاء.

ولكن الجو لم يثبت أن يعود إلى التباعد، وتهب الرياح وتتفاوت السفينة أمواجا كالجبال فيمود القتية إلى نسيمها.

وسرعان ما يتكشف لهم الساحل فيصولون إليه فرحين مبتهلين.

بالأول جولة إستطاعوا أن ينتصروا فيها على ذلك الجبار المبول.

اتسعت الفتوح وبدأ العرب في إنشاء السفن وحماية الشواطئ، فلم يلبثوا بعد قليل أن تعمقت درايتهم وخبرتهم بالبحار وركوبها.
والسفن وصناعتها وأنشأ معاوية الأسطول وقاده إلى جزيرة فسر فأفلع من عكا والتق بالعُبر المصري العربي الذي كان لواءه معقودًا على عبد الله بن سعد بن أبي السرح وأحتل الأسطولان قبرص وصالحوا أهلها.

ثم غزا العرب جزيرة رودس في عهد الوليد واستمر الغزو ففتحت أقرطش وصقلية وسبردنه وجزائر البليار ومالطة وكريد حتى أصبح العرب سادة البحر الأبيض.

ثم ساق العرب سفينهم في الحيطين الهندي والهادي... وظل العرب يفتحون بحر مرمرة مرات ومرات ويحترون الفاطميين بقيادة بسرين أرطاه مرة وقيادة قيس مرات. ففتح صقلية القاضي أسد بن الفرات، وفتح أقرطش أبو عمر حفص بن عيسى في أربعين سفينة وكان من ألمع الأسماة في عالم البحر، ليون الطرابلسي الذي أطلق عليه في كتاب التاريخ المصري دغلام زارفه، وسجلت غزواته بسيدة وغزوات البحر الأرخبيل وثغوره، كما فتح أنطاكية وولب الحيط الأطلسي وبلغ جزيرة مينو البعيدة. ودمر الأسطول الايطالي في سردبانيا ورد أسطول شارل مان عن برشلونة.
واستمت دراية العرب بالبحار فطافوا أشهرها ورعوا صناعة
السفن وأدوات الغزو البحري، وصنعوا الخرائط والمصورات
ودرسوا علوم الجو وهبوط الرياح واستعملوا الأبرة المغناطيسية
والمنائر المادية للسفن في الليل.

وفى العربية مختلف أنواع المراكب: كالسفن والخلية
والوزورق والقارب والثيني الذي كان يحمل 50 جندية وينيره
مائه مجدف. كما صنعوا الطرادوالحراقة والسلد ويعزى إلى العرب
أوهم أول من اخترى البولصة البحرية التي تحد الاتجاهات.
كما صنعوا الدبابة والكسار والغرارة ومكائن البارود.

وعلى العربية الأساطيل الحرية، كانوا يطلقون عليها اسم
(الشونة) حيث تقام فيها الإبارج والقلاع لحمل المجنوقات التي
يرى بها النفط المشتعل على الأعداء. ويطلق عليها اسم (الحراقات)
وكذلك (الطرادات) وهي سفن صغيرة سريعة الجري، واكتشفوا
معدات الحرب كالزرد والمخدود والدرق (وهي أتراس من مجد
ليس فيها خشب) واستعملوا الرماح والكتاليب والسلاسل التي
في رؤوسها رمانات من حديد، وقوارئ النفط يرموها الأعداء.
وهي مشتعلة. كما استعملوا المسحوق الناعم الذي هو مزيج من السكّس والزركني يمدّون به العدو في مراكبه فيعمي غبارها المحاربين.

وكانوا يعلقون حول المراكب من الخارج: الخلاود أو اللبود المخلوطة بالخل واللحم والتبر والتبور والطين المخلوط كما يخفف أثر النفق المشتعل.

وأجاد العرب تركيب النار اليونانية فاستعملوها في حملاتهم البحرية على شواطئ إيطاليا وبعض جزائر البحر الأبيض وهي تركيب من زيت النفق والكبريت والجير والقفار إذا مزجت نتج عنها سائل ملتهب حديث دخانه وانفجاراً عظيماً كما يخرج منه نار تشعل الأجسام التي تلامسها أو تقع عليها كما استعمل العرب الآلات التي تنفجر الحجارة والمواد الملمتة يصحبها دوّى كارع.

- ٣٣ -

كانت أول حملة عربية لغزو جزيرة قبرص بقيادة عبد الله ابن قيس الخارق ثم تتابعت الحملات.

- ٧٤ -
فكان معركة ذات الصوارى، التي واجهت أسطول الروم المكون من سناة قطعة عندما اتجه لمهاجمة سواحل مصر، إذ خرج عبد الله بن أبي السرح في أسطول ضخم، وخرج معاوية من الشام بأسطول آخر فالتقيا في الموقعة ودارت بينهما معركة البحرية وهزيمة أسطول الروم وجرح ملكهم فلاذوا بالفرار.

وقد اتسع نطاق أسطول معاوية حتى بلغ ألفاً وسبعائة وحدة بحرية معارية، وعندما غزا جزيرة رديس انطلق هدفها لا تقل عن خمسة ميل وعاد مظفرًا. وعندما تجددت الحملات على القسطنطينية في خلافة سليمان كانت هناك ألف وثمانمائة قطعة بحرية.

وبلغ الأسطول العربي في أيام عبد الرحمن الناصر ما يزيد على مائتي وحدة بحرية وكان أسطول البحري لدائن الله وحده مكوناً من سناة قطعة. وقال ابن خلدون: أن عدد الأسطول العربي في أوروبا وافريقيا في القرن الخامس والسادس للبحر وصلت إلى مائة أسطول، وعندما غزا الأسطول القاطمى السواحل الإيطالية كان يحمل خمسة آلاف مارب لهم عشرة من الفواد.
وفي الشام تحول البحر الأبيض إلى بحيرة عربية. ومن قرطبة انطلقت القوات الملاحية إلى قلب أوروبا.

ومن سواحل الأندلس انطلقت الغزوات البحرية إلى جنوب فرنسا وفرنسا وإيطاليا واستطاع العرب من دمشق أن يصل جيوشهم إلى بحر الجزائر في قلب آسيا.

وقد عرفت سفن الاستطول العربي بالضخامة حيث كانت ذات طبقات عدة وبها عدد ضخم من المجاديف ما كان يسهل تمريرها إذا سكنت الريح.

كانت أهم الأسلحة التي يستعملها الملاحيون القصى والسهام والمجنحات والعراوات.

وقد بلغت فتوح العرب في بحر الروم قوة واتساعاً حتى أصبح يطلق عليه بحر العرب وقد هيمنوا عليه ثلاثة أو أربعة قرون.

وكان العرب قد بدأوا معاركهم البحرية بحاصرة القسطنطينية فطوقوها من البر والبحر بجموع كثيرة من الجند ولبثا عدة أيام من الفجر إلى المساء. يهاجمون واجبها الشرقية حتى القرن الذي دون أن يتاح لهم الاقتراب من أسوارها المنيعة وأبراجها العالية.
فَلَا أَقْرَبُ الْشَّتاءِ فَكَأَنَّ الْحَصَارَ أَسْتَدُرَّ وَإِنَّ اثْنَىَ الْعَامَلِينَ في صِيفِ الْعَامِ التَّالِي وَأَسْتَمَرَّوا أَكْذَكَ يَعَاوُدُونَ حَصَارَ الْقُسطُنْطِيْنِيَّةِ، فِي كُلِّ شَتَاءِ سَتَّةَ أَوْ سَبَعَ أَعْوَامٍ مَّتوَالِيَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَوْمِنَا بِفَشْلِ مَحاوَلَتَهُمْ.
وَقَدْ فَقَدَ الْعَرْبُ فِي هَذِهِ الْمَعَارِكِ ۲ أَلَفٍ مَّقَاتِلٍ وَاِسْتَثْمَرَ عَدَدٌ مِّنَ الْأَعْلَامِ فِئَهُ، أَوْ أَبُو اِبْنِ الْأَنْصَارِيِّ، الَّذِي دَفَنَ تَحْتَ آسِوَارِ الْقُسطُنْطِيْنِيَّةِ.

أَظْهَرَ الْبَحْرُ أَعْلَامَ مَحْسُوْنَاتٍ غَيْاً فِي الْقُوَّةِ وَالْبَرَاعَةِ وَالْبَطُولَةِ:
أَبْرَزُ هَؤُلَاءِ الأَعْلَامِ مَعاوِيَةَ، الَّذِي أَحْرَرَ مِنْ مِنْيَانِ عَكَا عَلَى رَأْسِ أَسْتِلُوْلَهُ بَعْدَ اِتَّهَامِ شَتَاءِ عَامِ ۲۸ هَ وَنَزْلِ بَاحِلِ قَبَرِصَ، وَاِسْتَرَكَّتُ الْمَرَأَةِ الْعَرْبِيَّةَ فِي الْمَعَارِكِ وَكَانَتْ مَعَ مَعَاوِيَةَ زُوْجَةَهُ فَاخْتُهُ وَكَانَ مَعَ عِبَادَهُ فِي الصَّامَاتِ زُوْجَتَهُ أُمَّ حَرَامَ بَنتَ مَلَاحِمُ.
وَقَدْ مَاتَتْ شَيْدَةً فِي قَبَرِصِ.

وَمِنَ الْرِّجَالِ الْأَوَّلِ مِنْ أَبْطَالِ الْبَحْرِ فَنْصُرُ بْنُ أَرْطَأُ وَجَنَّادُهُ.
أَبِنُ أَمْيَة وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسِ الْحَرَّطِيَّ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْسَّرِّحِ،
وَقَدْ قَضَى عَبْدِ اللَّهِ خُسَيْنَ غَزْوَةَ بَيْنَ شَتَائِهِ فِي مَصَابِرِ الْشَّتَاءِ،
وَبَيْنَ صَائِفَهُ فِي حَارِةِ الْقِطِّ. وَقَتَلَ فِي إِحَدِى مَعَارِكِ الْبَحْرِ فِكَانَ
أَوَّلَ شَهْدَاهُ وَأَتَّحِ البَحْرِ لِلْعَرْبِ فَرْصَةً اِكْتِشَافِ عَدَدٍ مِّنَ الْمَبْقِرَاتِ.
المدفونة فظهر منهم للعلمون المبرة، والملاحون من أهل سيراف والبحرین أمثال أبي الحسن السیرانی وأبي الزهر البرخی وابن عمه وسامی بن ابراهیم وعفره الربان الكرماي وعمران الاعرج وقد سافروا الاسفار الطويلة في بحر فارس والهند والصين والفلز وظهر أعلام رسموا للبحر خططا، وكتبوا دراسات لا تزال مرجعا في علوم الملاحة من أمثال أحمد بن ماجد وسليمان المبری وأبي مusher المنجم ومحمد بن شادان وسهل بن أبان وليث بن كهلان وأحمد بن برقوق والعلم خواشر بن يوسف.

وفي البحرين كان العلماء بن الحضرمي من أبرز رجال البحر، في عهد عمر إذ كان عامله على البحرين، وهو الذي أنشأ أسطولا وحمل فيه أهل البحرين دون أن يُشاهد الخليفة - لأنه كان يعلم أن الخليفة لا يُذن عفرهم الخليج إلى اصطخر. فنزل الجند بها وقاتلوا أهل فارس. وقد أخذ عليهم العدو الطريق من جهة البحر ودم أسطولهم.

وفي هذا المجال يذكر الرجل العربي الذي رافق فاسكودي جاما (معلم كاما كا) في ميلندي من أعمال الملكة كامبایا. وقد أُعجب به دم جاما عندما أطلبه على مصور جميع شواطئ الهند كما يعرفها مينا بها خطوط الطول والعرض بما فيها الدرجات بصورة دقيقة.
فنا أخرج دى جاما للبحار العربي اصطرلاه خشبا كثيرا أثربه أصل وقياس ارتفاع الشمس، لم يدهش معلم كاناكا وقال أن ربانة العرب في البحر الأحمر كانوا يستعملون آلات من معدن شبة بأشكال مختلفة ومربيه لقياس ارتفاع الشمس، وخاصة النجم الذي يستهديون به غالبا في الملاحه.

وقال أنه بعبارة كامبايا وجميع الهندجرون مستعينين ببعض النجوم الشماليه والجنوبية، وبنجوم أخرى تظهر عادة في منتصف الشبى من الشرق إلى الغرب، وانهم لا يقيسون ارتفاع النجوم بما يشبه الآلات التي مع دى جاما بل بالآلات أخرى وأخرجاها له مركبة من ثلاث خشبات تشبه الآلة التي كان المسلمون في بلاد البرتغال يستعملونها.

وقد استطاع معلم كاناكا أن يقلع مع فاسكو دى جامع طريق الهند في 4 نيسان 1498 ويعبر الحاجيج الكبير الذي يبلغ طوله 600 فرسخ من شاطئه إلى آخر في اثنين وعشرين يوما وفي أقل من شهر وصل فرسانه إلى كالكوتا.

والمعلم كاناكا تعلم الملاحه الفلكية على أستاذه أحمد بن ما جد (وكاناكا) معناها رياضي فلكي كاتب.

- 79 -
أما أحد بن ماجد فهو علم من أبرز أعلام البحر اسمه (شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد السعدي) عربي من مدينة جلفار في مقاطعة عمان.

وقد تحدث سيدى على بن حسين الأميرال التركي الشهير في مقدمة كتابه الخفيط عن أعلام البحر العربي في عام 1554 أقت خمسة أشهر في مدينة البصرة حيث بدأت الرياح الموسمية ثم أقلعت إلى الهند. وقد دامت رحلته هذه ثلاثة أشهر (من 2 تموز إلى 27 أيلول 1554) وكتبت خلال هذه الأشهر الثمانية أشارت إقامتها ورحلتها لا داعي فرصة تمر دون أن أشعل نفي في الحديث بأمور الملاحين من رابطة البحر العربي الذين عبروا هرمز وهندستان أمثال الليث بن كهلان ومحمد بن شادان وسليم بن أبان وسليمان أحمد المهدى وأحمد بن ماجد.

وقد سمي ابن ماجد الباحث عن الحقيقة بن البحارين ووصف بأنه أفضل رابطة الشاشيين الهندي الغربي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر مقدرة ونواة واشار إلى ما كتب في مؤلفاته عن العلامات والإشارات الموجودة في البحر والتي تشبه الطيور.
وهي جزيرة العرب وجزيرة قفر ومدغشقر وسوس مطيرة وجاوه والفور وسيلان وزنجبار والبحرين.

وأما قوله ابن ماجه أن القطب هو سلطان النجوم المشهورونه مسكيار الفلك وقد جرى الاجتماع على إطلاق لقب أسد البحر الهانجف عليه والمعروف أنه أخذ الملاحة أثناً عن جد وانحدر من أسرة اشتهرت بالشتون البحرية وقد صورت مؤلفاته طريق سير الفن في البحر بمرافقة منازل القمر وهبوب الرياح ومعرفة القبلة وكيفية الاستدلال بمنازل القمر والبروج عن البلاد التي يقصدها المسافر.

واورد في مؤلفاته أسماء النجوم بنات نعش وسيلا والناقة والحارين والعيوق والعقرب والنسر والكلب والسباكن.

ويعود ابن ماجه شمة ثمرة كفاح الحضارة العربية طوال نصف قرون في ركوب البحر، وكان لآثاره المكتوبة الفضل في النجاح الذي حققه الملاحة البرتغالية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين.

ومن أعلام البحر هو ليون الطرايسي الذي أشرف على غارات بحر الأرخبيل وفتح انتزاكية والقاصي أسد بن الفرات فانه صقلية.
وأبو عمر حفص بن عيسى فاتح أقريطش، ويسر بن أرطاة قائد الأسطول إلى بحر مرمره.

ولايمني في هذه المجال طارق بن زياد، ولا ينسي حسان ابن النعاس الذي بنى داراً لصناعة السفن في تونس.

وأمسها الناصر من دور عدة للصناعات حتى أصبح أسطوله ماتى سفينة، وكذلك معامل إشبيلية وقرطاجنة التي كانت تخرج كل عام عشرات من السفن المحاربة.

وقد صنع الآمن في بغداد خمس حراقات على نهر دجلة على صورة الأسد والفيل والعقاب والفرس والحمية.

- 6 -

شاهد العرب البحر أول مرة عندما وقعاً على جسر دجلة تجاه المدافن على الضفة الأخرى بعد أن فتحوا العراق ووصلوا إلى حدود فارس. هنالك وقعا في الحيرة إذ لم يجدوا الجسر الذي يعبرون عليه ولم يجدوا السفن التي تحميلهم. غيران سعد بن أي وقاص لم يدع فرصه تفلت منه إذ اتدد كثيبة الموت التي رأسها القعقاع بن عمرو في ستاتة من المجاهدين الأشداء الذين دفعوا أفراسهم
فاقتجموا النهر في كتيبة عرفت من بعده بالكتيبة الخرساها أو كتيبة الأهوال فلما وصلوا إلى البر الآخر جموع من العدو هناك اندفع المسلمون على خيولهم يعبرون البحر إلى الفرصة الأخرى وخرجت الخيول صاهل تنفس أعرفها...

ثم اتسع مغنى البحر عندما اتسعا مبولا بعد الفتوحات الضخمة فكانت أساطيلهم تعرى بين صقلية وقبرص وروذوس وجنوة والبندقية في بحر الروم إلى كالكوتا وسرنديب من غور الهند إلى جاوة في الأرخبيل الشرقي بربر وملندي من شواطئ إفريقيا وبحر الغازم وسيراف عمان على المحيط الهندي والخليج الفارسي.

وقد كانت جميعها محطات لقواعدهم.

وبين المغرب والأندلس كان هناك أسطول يزيد على ألف سفينة تحمل غلال الفردوس المفقود ومصنوعاتها إلى إفريقيا وآسيا، وكانت السفن القادمة تم بموانئ بشلونه والمرية وقرطاجنة وبلسية ومالقة وقادس وأشبيله.

كما وضع العرب الخرياط والمصورات وأحصروا نروات الأرض ودرسوا الأقاليم وقادوا إعادته.

---

83 ---
يقول ابن جبير (لم تكن السفن ذات الدفتين موجودة في غير
(بحر العرب) البحار الأبيض. كانت السفينة تحمل بضعة آلاف
من الرجال وعلى ظهرها حوانيت ومنازل، تقطع البحر عرضا
في 36 يوما من مبدهه من الغرب إلى آخره حيث انطاكيه.
وكانت سفن البحر الآخر تحاط بجبال الليف وهي من صنع
أهل (عذاب) وقال ابن جبير: أنه لا تستعمل فيها مسار البطة.
وإذا ما خُيِّطت بأمراس من القنابار، الكتان، فذا فرغوا من
إنشاء المركب سقوها بالسمن أو بدهن الخروع.
وقال: المسعودي، إن مراكب البصرة كانت بيضاء مشحمة.
وكانت سفن العرب تصل إلى هذا البحر إلى جزر مالابار وماورة.
ذلك شرقاً وإلى أسافل بحر الزنج، موزانبيق، غرباً. وكان في سفن
هذا البحر كثير من الجحام يطلقونه فيعود إلى بلاده يحمل أخبار
صاحب السفن.

وصف المؤرخون مراكب المهدي القاضي، عبد الله،
وكيف استطاعت أن تعزو جنوب فرنسا ومدينة جنوه.
وقال ابن خلدون: إن العرب قد غلبوه على هذا البحر من جميع
جوانبه وعظمت صوائهما وسلطانهم فيه فلم يكن للإسم النصرانية.
قبل بأساطيلهم بئى من جوانبه وامتطوا ظره للفتح سائر أيامهم
وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه مثل ميورقه
ومنوبقه وسردانية وصلقلة وقوقرس ومالمه وأفريقيس وقبرص
وكانت مراهم في أنتاكية وطرابلس وصور وعكاء، ودبياط
ودمياط والاسكندرية وتونس والمحمد وغيداب وعدين وهرمز
والماسة وسيراف،

وعدد المؤرخون أنواع السفن فقالوا منها: المدولية والسفينة
والخلية والشكك والقرقور والزورق والقارب والطراد والحراة
والعشاري والجلاسة والبارة وتعدي الشواقي، أقدم أنواع السفن
الحرية التي عرفها العرب فكانت أهم القطع لديهم في حروبهم
في بحر الروم.

كما نازل العرب سفن البيزنطيين في قرطاجنة 298 ودمروهم.
وقد سمى الملاحون العرب الموج وضجيج البحر بالمخلوقات
اللغات الأوربية وما تزال الفلول والأفراش والشمال، تذكر
في اللغات الأوربية بأسمائها العربية.

كما اكتشف العرب الإمبراطورية المغناطيسية التي انتقلت إلى أوروبا
في القرن الثاني عشر.
عرف العرب الامام الرومي في البحر. وقد سجل لهم التاريخ عدداً من المغامرات من أهمها مغامرة الفتية المغربيين، التي وصفها الشريف الديسي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، حيث قال:

إن جمعة من مسلمي الأندلس من أهل الحامة على مقربة من أشبةونة يعرفون بالمغرورين، وهم ثمانية قبائل أخوة أو أبناء عم. أنشأوا لهم مركباً كبيراً وشغروها فيه من الماء، وإلزام ما يكفيهم لفترة ثم خرجوا إلى بحر الظلمات من نهر أشبةونة (شبةونة). عن مهب الريح الشرقية وساروا نحو الغرب في إتنين عشر يوماً تفجروا إلى جزيرة الغنم وفيها من الغنم مالاً يأخذه عد ولا تحصيل. وهي بارحة لازعقة لها ولا ناظر إليها فقصدوا الجزيرة فنزلوا فيها فوجدوا عين ماء جارية، وعليها شجرة بن بري وأخذوا من تلك الفن فذبحوها فوجدوا خومها مرة ولا يعد أحد على أكلها فأخذوا من جلودها وساروا من الجنوب إلى عشر يوماً إلى أن لاحت لهم جزيرة فنظروا فيها إلى عماره وحروت. فقصدوا اليابان وأثناها كما كان وغير بعيد حتى أحيط بهم في زوارق. هناك فأخذوا
وحلوا في مركبهم إلى مدينة على ضفة البحر. فانزلوا بها فوًراً فيها رجالاً شقاءً زراعاً. شعورهم سبطه وهم طوال القدواد ولمساتهم جمال خيب. فانقلوا في بيت ثلاثة أيام، ثم دخل عليهم في اليوم الرابع رجل يتكلم باللسان. ثم سألهم عن حاليهم وفيا جامعا وأين بلدهم فأخبروه بكل خبرهم فوعدهم خيرا وأخبرهم أنه ترجع الملك فلما كان في اليوم الثاني أحضروا بين بدي الملك فسألهم عما سألهم الترجان عنه فأخبروه بأنهم اقتحموا البحر ليروا ما فيه من الأخبار والمعجب فيقفوا في نهاية قلاب علم الملك ذلك ضحك. وقال للرجان أخبر القوم إن أبي أمر قومًا من عبيده بركوب هذا البحر وأنهم جروا في عرضه شهراً إلى أن انقطع عنهم الضوء وانصرفوا من غير حاجة ولا فائدة تجديد. ثم اعتقل القوم مدة حين حتى جرت الريح الغربية فوضعوا في مركب وعصبته أعينهم وأطلق بحم المركب في البحر حينا قدرواه ثلاثة أيام بلاليها ثم أخرجوا إلى الشاطئ. وكتفوا وتركوا هناك وفي الضحى سمعوا أصواتاً بشرية فاستغفاو بالقادمين فلوا وثاقهم وسألهم عن خبرهم - وكانوا من العبر - وأعلموا أن بينهم وبين الأندلس مسيرة شهرين وأن المكان الذي رسوا فيه يقع في أقصى المغرب.
ويقول المؤرخون إن المغررين خرجوا من أشبونة وساروا في بحر الظلمات مع الرياح أحد عشر يوما، والذين بهذه المدة تحملهم نحو مسافة ميل أو أكثر في عرض البحر، أغرى إلى مياه الأزور أو ما يجاها ثم اتجهوا بعد ذلك نحو الجنوب وساروا مدى إثني عشر يومًا في مسافة لاتقل عن المسافة السابقة.

وكانت مغامرة الشبان المغررين في الثالث الهجري المقابل للقرن التاسع الميلادي وقبل مغامرة كوسنفر كولبس بنحو خمسة قرون.

وقد اندفع العرب في مغامرة أخرى عندما سافر بعض ملاحهم المغامرين إلى المكسيك وقد أبحروا إليها من بعض جزر بحر المانش مستعينين في إبحارهم بتيار الخليج الذي لم يكتشف إلا في أوائل القرن السادس عشر.

كتب رحالة العرب عدداً من اليوميات صوروا فيها البحر من خلال مراكبهم الصغيرة ورسموا صورة الهول الذي عاشوه وهم يعبرونه، فقال الإدريسي في كتابه نزهة المشتاق في اختبار الإفاق:
ه، إن الأرض مدور في شكل كرة، والماء لا يفقده، والطرق والماء مستقران في جوف الفلك كملاحة في جوف البيضة، ووضعهما وضع متوسط ونفس محيط بهما من جميع جهاتها، وهو جاذب لها إلى جهة الفلك أو دافع لها.

ولفت أبو الثناء الإسفائي الأذهان إلى فكرة كشف الأرض الجديدة قبـل كولمس بن نحو قرن ونصف وتناول الترويي النفطة في كتابه "المنطقة" وقال إنه يظهر على الناس من أسوأ، ومنه أبيض وقد يحول الأسود بالقمر والابن فيم أبيض.

ينفع في أوراع المفاصل والتالج وبياض العين والماء النازل منها.

ويستثن ببطوطض أول من اكتشف المحيط الهادي، فإنه ركز البحار من جزيرة جاوه البحر أربعة وثلاثين يوماً، ووصل إلى البحر الكاهل أو الراكد، وهو أول مكتشف لهذا المحيط (1344 م - 742 ه) قبل أن يكتشفه (نور_domain بالبا،) سنة 1115 م. كما وصل ابن بطوطة إلى أاع (نهر التبجر) وإلى تمبكتو، وسكتو، قبل أن يصل إليها من نحو بارك بن نحو ثلاثية قرون.

وكان أبو القداء وابن بطوطة يطلقان اسم الجنساء على فرصة

- 89 -
(خانجو) التي هي الآن هنج تشيوفو جنوب شنغبى على مدخل
مصبه نهر (تشيان تنج).

وقد وصفها ابن بطوطة فقال: إنها أكبر مدينة رآها على
وجه الأرض، وعند وصوله إليها كان في استقباله فاضح فخر الدين
وشيخ الإسلام.

كما زار أبو الفداء مدينة (شنجو) الواقعة في الشمالي الشرقي
وقال إنها تسمى مدينة (الورتون) وهي شنغبى. وهي أول
ميناء رسا عليه ابن بطوطة وقال إن مرساه من أعظم مسافات الدنيا.

وقد عرف جغرافيو العرب الصين بينما كانت مجهولة تماماً عند
جغرافين اليونان والرومان ولم يكن لديهم علم بشأنها — وتوغلوا
فيها وزاروا سواحلها وعرفوا مدناها وانهارها.

وقد وصف ابن جبير البحر فقال عن رحلة رهيبة له في البحر
الأبيض المتوسط (1317 م) وطرأ علينا في مقابلة البر في الليل
هوال عظيم، عزم الله منه يريح أرسلها الله تعالى في الحين من
تلقاء البر فأخرجنا منه والحمد لله.

وقام علينا نوّه هال له البحر فبقينا مترددين بسببه حول
يرد لنا، ثم طلع علينا في حال الوحشية وانغللاق الجهات
بالنهاة فلا تتميز شرقاً من غرب. طلع علينا مركب للروم إلى أن
حاذانا فسئل عن مقصده فأخبر أنه يريد جزيرة صقلية وأنه من
قرطاجنة.

وقد كنا استقبلنا طريقه التي جاء منها من غير علم فأخذنا بعد
ذلك في اتباع أثره.

وفي ليلة الأربعة، عصفت علينا ريح هالها البحر وجاء
معها مطر ترسله الرباح بقوة. كان شأيب سهام فعظم الخطوب وأشتد
الكراب وجاءنا، وهو من كل مكان. أمثال الجبال السائرة في بقينا
على ذلك الحال الليل كله والناس قد بلغ منا مبلغه. وارتجينا مع
الصباح فرجه تخفف عنها بعض. إننا ننزل بنا جهة النهار بما هو أشد
هولا وأعظم كربا وزاد البحر اهتياجاً وابدت الافاق اسودادا
واستشرت المطر والريح عصوفا حتى لم يثبت معها شراع فلجالنا
إلى استعمال الشرع الصفار. فأخذت الريح أهداها ومرقتها. وكسرت
الحشبة التي ترتبط الشرع فيها، حينئذ تمكن الباس من النفوس
وارتفعت الأيدي بالدعاء وأقننا على تلك الحال فله نحن الليل فقرت

- 91 -
المكان بعض فتور وسرنا فلما أصبح الصبح نشر الله رحمته واقتحمت السحب وطاب الهواء وأضاءت الشمس وأخذ في السكون البحر. 

ثم عصفت الريح قطر لها المركب يحناشي شراعه والبحر بها قد جبن، واستشرى ناجه وقذفت بالزيد أمواله فتحال غواربه المتموجة جبالاً مثلجة. ومع ذلك استشرت النفوس الائسة وغلبت رجاءها اليأس وقد كنا مدة الستة والعشرين يوماً المذكورة التي لم يظهر لنا فيها بر نجمه الطنون ونفازل الملون حذرآً من نفاذ الزاد والماء.

فإن قائل يقول لنا إننا قد ملنا إلى بحر المغرب وهو بحر أفريقية. وآخر يزعم لنا إننا قد ملنا إلى بحر الأرض الكبيرة: أرض قسطنطينية ومنهم من يقول إلى اللاذقية جبه الشام، ويبينهم من يقول إلى دمياط بر الأسكندرية وفي ليلة الأحد انقلت الريح غربية وكشف النوء من المغرب، وجاءت الريح عاصفة فأخذت بناحية الشمال وأصبحنا واهول يزداد والبحر قد هاج هائجه وماج مائجة فرى بوج كالجبال.

وكان كأسور علواً فترفع لماوج ارتفاعاً ولهما طيب كالوا발 المفصلإ. فلما جن الليل اشتد تلاطمها وسكت الاذان.
أحبطت الدنيا وظننا أنه قد أحيط بنا، وفي يوم الاثنين بدت ريح طيبة. فاستبشرنا بها ثم انقبت بحرية وانشأت صابحة منها رعد فاصف، وزجتها ريح عاصف، وتقدمها برق خاطف. فأرسلت حاصلة من البرد، صبه علينا في المركز شابين متداركة فارغت النفوس.

وما زالت تعصف حتى استسلمت النفوس لباريها وتركتنا بين السفينة وجريها وعباب الوهج تتوالى صدمته وتطفر الألباب رجفاته، فبدلت من نفوسنا كل أمنية وتأهبت للقاء المدная، وقطعنا هذه الليلة الهماء في مصادمة أهوال ومكابدة أو حال، ثم أصبحنا يوم السبت ليوم عصيب، أخذ من هول ليلته بأوفر نصيب. والأمواج والرياح تترامى لنا حيث شاءت وقد اسلمنا للقضاء وتمسكنا بأسباب الرجاء ثم تداركنا صنع الله في الماء فقرت الريح وديلان مفين البحر واصفر وجه الجو، وأصبحنا يوم الأحد وقد تبدل من الخوف الإلذان. وتطلعت الوجه وكأنها انتشرت من الألكفان. وساعدت الريح بعض مساعدة فدنها نطلب من البر أثراً بعد عين وترجم الظنون بين ظني وأين...
قال على مبارك: إن العرب هم الذين كشفوا بحيرة فيكتوريا نيازا وعندى مساحتها بالجهة وإن قائق والقبراط في كتاب بخط اليد. وسبق العرب بذلك المكتشفان سبيك وغرانت الذين اكتشفا بحيرة عن طريق زنجبار 1862 وسميتاها باسم المملكة الإنجليزية.

كما صور أبو الفضل العمرى في رسالتين كتبهما وصف عملتيين بحريتين كان قد ظهرهما في القرن الثالث عشر (محمد جاو) ملك عينه وكانت غايتهاما اكتشاف الساحل الواقع غربي المحيط. ويقول السائح الهراوي إنه لم يترك برا ولا بحر ولا سهلا ولا جبل ولا الأماكن التي يمكن قصدها ورؤيتها إلا رآها ولم يصل إلى موضع إلا كتب خطه على جائحة.

وقد صور الادريسي في نزهة المشتاق رحلته إلى نهر النيل فيقول: من بحيرة كورى يخرج نهر غانه ونهر الخيشة فإذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى ثم بلاد نه فإذا بلغ دنقله عطاف من غربها إلى الغرب ثم انحدر إلى الإقليم الثاني فيكون على شطيه عمارة النوبى. وفيه هناك أجزاء متسمة عاملة بالمدن والقرى ثم
نشر إلى الجنادل وإليها تنتهي مراكب النوبة إحداراً ومراكب الصعيد إفلاها.

وهناك أحجار مفرسة لا مرور للمركاب عليها إلا في أبان زيادة النيل ثم يأخذ على الشمال فتكون على شرفية مدينة أسوان والأدرسي واحد من مجموعة من الرحلة العرب طاف بالأندلس وشمال إفريقيا وآسيا الصغرى وزار فرنسا واتشتر وحلفية حيث صنف الملك رجار ملك صقلية كابا في وصف الكرة الأرضية وقيد أحاديث الرحلة والتجار والحجاج في السفن التي كانت تمز بموالي صقلية ولم يسبقه أحد كتاب عن أوروبا بما كتب به من دقه.

وأي جهير رحلة عربي رحل من الاندلس شرق إلى إفريقيا ومصر والشام والخليج كما سافر مرة أخرى من غزانته إلى المشرق وقطع البحر الأبيض مراً وطاً وبعظم جزاءه، وثناوه وتحول في البلد مسر والشام والخليج واستقر في الأسكندرية وتوفي بها (1317 م).

وأي بطوطة: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي رحلة ومستكشف قصد إلى مجازل البر والبحر. ألف (توفا النظم في غزارة الأمصار ويجذب الأسوار) جاب أقطار العالم واجتاز.
المغرب ومصر والشام وبلاد العرب وفارس وفارس وحُراسان وتركستان
والهند وسِلِان والصين وجزر الهند الشرقية كما اخترق قلب
إفريقيا إلى بلاد النيجر وأمضى في صِلاته ربع قرن.
والمسعودي: هو المؤرخ الجغرافي الذي طاف أنحاء العالم
الإسلامي شرقاً حتى الصين والهند وجزائر الهند الشرقية وقد
اختَرِق المحيط الهندي حتى شواطئ إفريقيا الشرقية وجزيرة
مدغشقر وله كتاب مروج الذهب.

ويُبِن الحسن السائح الهراوي: الذي خرج من الموصل يجمع
انحاى العالم نحو عام ٧٦٣ وأطفال زهاء ربع قرن في رحلته وطاف
أرجاء الشام وفلسطين ومصر وقبرص وغرب الأناضول وجزائر
القسطنطينية واخترق البحر الأبيض وتجاوز على جزائره حتى صقلية
وأسره الفرِيج والقراصان مراً ما.

وهناك اليعقوبي: الذي سافر من السند إلى الأندلس. وابن
حوَلَلِدَا أَمْضى ثلاثين عاماً في الطواف من بغداد إلى الأندلس
ومولف هُنالك والمالك والملاح، والبُغدادي الذي تطاف من بلاد العرب
وبلاد الروم وآلف كتاب (الإفادة والاعتبار).

وهناك الرحلات المقدس مولف أحسن التقاسيم الذي يصور
حياته خلال رحلته الطويلة فيقول:

قد تفقت وتآدبت وترهدت، وتعبدت وخطبت على المناور
وأذنت على المنائر، وافت في المساجد، وآتت مع الصوفية وفراش
والمقاطعين الفراش ومع الموارق الصوار،
وحملت في البراري، وتثب في الصحراء، ومملكت المبدأ.
وعلمت
على رأس بالزندب، واشرفت مراراً على الفرق، وقطع على قوافنتا
الطرق، وسبنت في الحيوس، وأخذت على إد جاسوس، ومشيت
في السفاح، واللولج.

وأما ما تل جمعها إلا بعد جولاتها في البلاد، ودخوله أقاليم
الإسلام، ولقائهن العملاء، وخدمته الملوك، وجالسته القضاء، ودرس
على الفقهاء، وأختلفه إلى الأدباء، وكتبه الحديث، ومخلطة الزهاء
ومتصوفي وحضور مجالس التصاص والمذكرات.

ومع لزوم التجارة في كل بلد، والمعاشرة مع كل أحد والتعطش
في هذه الأسباب لفهم قولي، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى
الفتيات، ودوران على التجوم حتى حورتها، وتنقل إلى الإخبار
حتى عرقتها.

مراجع: تاريخ الاستقلال العربي: محمد ياسين
الدهم. دمشق 1945

زهرة المثنائق في اختراق الأفاق: فضيلة
الإدريس، الملاحه عند العرب: تقري حافظ طوقان

- 97 -
معارك المقاومة العربية

هل يستطيع العرب أن يبتسم لنا-formatting,قلد كما فعلت复苏 البلاد العربية. لقد كنا نقاتل بالسلاح فلذا لم نجد

بالإجهاض.

وكانت معركة حمامة متصلة.

ولم تكن المعركة الأولى ولكنها كانت المعركة الثانية.

كانت الأولى مع التنار والصليبيين(1) أما اليوم فإليها مركتنا

مع الاستعمار سافرا كاشقاً وجهه وقد زحف على أراضي العربية.

ومع عام 1898 حتى اليوم ونحن في معركة متصلة.

منذ ذلك اليوم الذي زحف فيه نابليون، إلى أرض العرب.

وفي رأسه حل قوامه أنشأ امبراطورية ضخمة في أرض العرب.

ومعه وعود لليهود وتبثه خدعة كبيره هي إدعتاه الإسلام

خرج نابليون في استطلاعه متجهاً إلى الشرق، وخرج في أثره

السون فوصل الاسكندرية قبله. وتلقاه الشهيد محمد كريم الذي

(1) لكي يكتمل لك قصة المقاومة وعظمة الشخصية العربية

اءقرأ، الشخصية العربية لأنور الجندي.

- 98 -
رفض أن يسمح له بالبقاء خطة واحدة. بل رفض أن يقدم لهم حتى الماء...
قال له نلسون: أنه إذا جاء ليحمي مصر من نابليون فاكبر وجه محمد كريم وقال له أمض أنت أما الفرنسيون فنحن متأهبون لمقاومتهم.
ووصل نابليون غازيا وقاومته مصر العربية شيرا بشر. كان في كل خطوة يجد القوة الشعبية تحطم خطوطه وتروق سيره.
قدم محمد كريم كل ماله في سبيل مقاومة نابليون وجيشه، وتمزيق كل جهة يحاولون أقامها؛ كان هو الذي استقبل الأسطول الفرنسي عند وصوله إلى الإسكندرية. بدأ منذ الحزمة الأولى يعمل مع الصيادين والعمال فوق حصن الإسكندرية ليرد الفرنجة عن حمى الوطن.
وظل محمد كريم ورجاله يتألقون نيران المدافع الموجهة إلى صدورهم دون أن يت.quitوا. ولكن أكبر البيادر والسويوف والحراب القديمة البالية وشظايا الأحجار انتقاوم اسلحة نابليون الحديثة التي استطاعت أن تدك القلاع وال حصون.
ولم يستسلم محمد كريم، ولم تستسلم الشخصية العربية. كان هناك...
في الصحرا. بعيداً عن العيون يصل، يندى حركة المقاومة بكل ما يملك من قوة، يعد المجاهدين ويُدربهم ويُقدمهم إلى صفوف المقاومة. المقاومة التي لم تقطع يوماً واحداً خلال ثلاث سنوات كاملة.

و언دما حاول كلاً احتلال دممر سرعان ما اختفت دواب الخيل، وقرب الماء، ولم يجد الفرنسيون رجلاً واحداً يتعاونهم أو يقدم لهم شيئاً.

أما عمر مكرم فقد صعد إلى القلعة فانزل منها ببرق كبراسته، العامة، البيروق النبوي، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق، وأمامه الألف من العامة، وفندى يستفر الشعب في قوة مقاومة نابليون، خرج الناس تاركين أعمالهم، ويوتهم.

وقد عدوا إلى أقامة المتاريس، ونصب المدافع، وحفر الخنازق، وتحصين المدينة، وهو في خلال المعارك ينقل بين أبواب الحارث ومراكز الشكتلات يشبع المحاصرين ويرفع من روحهم المعوزة.

ووجد السادات الذي رفض وسام نابليون وقذف به إلى
الأرض، ونبذوه في القلعة، وتركوه ينام على الأرض متوسداً حجاراً... وصudades أملاكه ونهب منزله، ومنعوا يعذبته في سجنه، يضربونه كل صباح وكل مساء خمسة عشر جلدة، كانوا يضربونه أمام زوجته إعاناً في الظلم فكان يلقى ذلك قوياً بإسماً صابراً محتمساً.

وه حسن طيار، الذي أوج الثورة على الفرنسيين في البحر الصغير، هذا الرجل الذي كان يملك أسطولاً في خصبة من قوارب الصيد في ميزة المنزل فأزعج الفرنسيين طويلاً حتى أنه رفض أن يرفع الرأية البيضاء أمام أسطول نابليون.

وهو الذي رفض هدايا نابليون، كان حرضاً على أن لا يدخل شيء عن هذا الجهاد، نقل نساءه وأمواله إلى خارج مصر، ثم أخذ يحسد البلاد عرضاً على الثورة.

وبدت الثورة في القاهرة ضد الفرنسيين، وصدت لها الشعب صدقاً عجيباً وقدم ضحاياه بالألواف، الألواف التي شنكت بها القناة الفرنسيّة، ومع ذلك ففي لم تتوقف، وفي إحدى الثورات زحفت الجموع صوب حاوزن الفرنسيين على ساحل النيل في إمابة فاشتكوا في معركة خاطفة انتهت بانتصار الثوار واستيلاتهم على الحاوزن ومضى الآلاف يغزون الفرنسيين في قلاعهم.
وصن أبطال المقاومة القناابل من جديد المساجد وقتلوا
ما لا يمكن تصديقه.

وفي الشرقية والدقهلية اندلعت الثورة على الفرنسيين، وفي
ميت غمر هاجم الأهالي المراكب الفرنسية التي كانت تحمل الدخائر
والدعاوى والآلات للجيش الفرنسي، وسقطوا عليها وقتلوا
من فيها من الفرنسيين.

وقام الفرنسيون، أبو شعير، الذي كان يقتن قلعة عشها
مركز شبين الكوم، والذي قاومه الجنرال (لانوس) مقاومة
عنيفة لم توقف إلا بعد قتله شهيد بطولة يوم 20 أكتوبر 1798
وقد اعتبر الجنرال لانوس موته نصرًا بارزاً واعترف في رسالته
إلى نابلسون بالخسائر التي يبدها الفرنسيين.

وجاء عربي من حلب هو "شهيان الخليلي"، ليقتل كلب في القاهرة
ويؤخر زحف الفرنسيين إلى الشام وينتمى له العرب في كل مكان.
وبلغ نابلسون عكا ولكنه فشل في اقتحامها. كانت مقاومة
حسن طوبار في البحر الصغير قد أتاحت الفرصة لاحمد باشا
الجرار لتحصين عكا.

وانهزم الفرنسيون حول أسوار عكا الصامدة الباسلة التي
قاومت ثلاث شهور كاملة.
وكان ارتضادهم أول هزيمة مئذناً: جيش نابليون كان نهاية حلم
نابليون في الاستيلاء على أرض العرب فانسحب عنها.
وقاومنا بريطانيا... ومضى الفرنسيون وجاء الإنجليز. وكانت حملة فريزر على
رشيدي. وقاومت رشيد بقوة، قاومت بأرواح الشعب قبل أن
تصل قوات الجيش.
ودير الأهالي خطة رائعة فقد تراجعوا عند مداخل المدينة،
واعتصموا بالمنازل وتقدم الإنجليز الذين لم يجدوا أية مقاومة في
أول الأموات فقامتها قد عمدت إلى إخلائها تمهيداً للتسليم.
وأما ان دخلوا شوارع المدينة وترفقو فيها واستوعبوا حتى
صدر الأمر بإطلاق النار، فقتلاهم الرصاص من كل صوب ،
من النوافذ وسطو المنازل والشرفات، فإذا بهم بين وايل منهم
من النار تجتاحهم من كل مكان، فسقط منهم عدد كبير صرعى
واستولى الذعر على من بقي فلاذ بالفرار.
وكان السيد حسين كريتي نقيب الأشراف في رشيد الذي كان
القائد الفعلي للمعركة فقد جند أهل البلد ومن صل إلىهم من القرى
المجاورة وساهمهم بالبنادق والسيوف والخناجر...
وهاجم الفرنسيون الجزايريين، وتصدى لهم أهل الجزائر الباول. وقادهم عبد القادر الجزائري خمسة عشر عاماً. دون توقف، حرب دائمة ومقاومة مستمرة، أنشأ محاربين للاسلحة وصبه المدافعين، وصنع البازوك، وأواصل جنود الفرنسية مرة، ومرة أخرى مقاتلين فيها، ويكبدوا الخسائر ويهزما، ثم تقوم مرة أخرى لتجد مقاومة أخرى متأخرة. وقد عرف ببيوية جزيرة على مصافحة المولد، بل تحديه، وقد عرف بالصلاة في الحق، والجراحة الجميلة، والترصس بالعيش الحششين، واعتلاه صهوة الجيد.
وقد استطاع الجزائريون الحصول مقابل كل جندي جزائري على خمسة عشر فارساً فرنسيًا مع عناهم.
وتآمرت بريطانيا فاشترتها اسم قناة السويس، ولتعد نفسها للدور الذي طمعت في أن تقوم به منذ سنوات طويلة، وهو احتلال مصر وجهة رجل عملاقي إلى مصر، كان يحمل دعوة التحرير من الاستعمار، يملأ الأمل في أن يفتح لارض العرب تحقيق رسالتة في حق بريطانيا.
ذلك هو جمال الدين الأفغاني.
أو قد جمال في النفس العربية همياً، كان هذا الليل مقدمة
لثورات عاصفة مدمرة... فقد ثار عراقيون الجندى الفلاح،
ولأول مرة...
ووقف في ميدان عابدين ومن خوله الجيش ومن وراءه.
الشعب ليقول للتخليد بوصفه الحاكم الظالم المستبد.
لقد خلقنا الله أحراراً ولم يخلقنا تراباً ولا عقاراً، فولله.
الذي لا إله إلا هو إنا سوف لأنورث بعد اليوم.
وهمتم عراقي الحيناء بعد أن انتصر على الأنجليز في كفر
السوار... ونفي عراقي، وعندما وقف عراقي في وجه الأنجليز.
كانت الأمة كله وراءه لقد هزمته الحيناء وحدها...
و لما علم أهالي باب الشمرية والحسنية بدخول الأنجليز
إلى القاهرة... خرجوا يحملون الهراوات والسكاندين. فلما قال
لهم محافظ القاهرة: لافائدة. لقد سلمت الدولة.
قال الأهالي: سلمت الدولة ولكن الشعب لم يسلم.
وفي نفس الوقت ثار اللهدي في السودان على الاستعمار التركي
والاستقلال البريطاني، ووقف في وجه بريطانيا وهو في أوج قوتها.
وقتل المجاهدون غردون، مثل بريطانيا، وغضب لذلك
المهدى وقال أنه كان يود أن يفتيذي عراقي بغردون.
وواصل الغزو البريطاني والفرنسي والإيطالي لأرض العرب، وفي فتح القرن العشرين استولى على الجزائر ومراكش وتونس واستولت إيطاليًا على ليبيا، وكانت بريطانيا تحتل مصر والسودان، ومضت الشخصية العربية تجاهد وتكافح وتقدم شهداتها، ودامتها وضخامتها في حرب مقدسة تحشد لها زهور الشباب، والاستمرار ماض في أساليبه الغادرة، مدافع تحمل الحمم، ومشاتق تنصب، ورصاص يوجه إلى صدر الأحرار يتجاهدون يحملون في الطائرات ثم يلقون من الجو، ومزامرات تثير لاغتيال الأحرار. ودول تآمر، وتتفق في سبيل تمييز أصول أرضنا حتى لانتهاش مصالحها، فتطلق بريطانيا يد فرنسا في مراكش، في نظر أن تلقى فرنسا يد بريطانيا في مصر، ومبارك يهزم قيمتها العرب بفعل الخيانة وشراء الأعوان والخداع ومع هذا فالشخصية العربية صامدة لا تستسلم.
وفي الجناح الآخر من أرض العرب تدور معركة أخرى، في الحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ... تدور معركة رهيبة، العناصر يضغطون على العرب ليذوبوا أفكارهم الطورية.

وعبد الحكيم الطاغية الذي يعيش في دبلن، يحكم البلاد بالجواسيس ويحجب الدستور عن الشعب أربعين عاما، ويرصد حركات الوطنيين، يقاوم جمال الدين الأفغاني، وعبدالله نديم، وعبد الرحمن الكواكي واللغة العربية يعلما للعرب شيخ تركي من الأناضول.

ووزارة العدلية التركية تطلب من المحامين أن تكون المرافعة باللغة التركية، والبرقيات والرسائل والقوائم لا بد أن تكون بلغة جنكيز خان.

وأحس العرب أن قيدا جديدا من الظلم والاستبداد يوشك أن يطبق على أعينهم، هتالك برزت الحركة العربية إلى الميدان مثلة في الجمعيات السرية.

وتدعى العرب في كل مكان إلى الحرية، التي تصحح أومناههم إلى الدود عن الشخصية العربية بشكل ما يملكون ووقفت تركيا إزاء هذا التيار الضخم تقاوم مقاومة مستميتة.

فبعث بأكبر مستبدتها، أحمد جمال الدين السفاح إلى سوريا،
حاكما وسفاحا، وقد حاول في أول الأمر أن يتجنب إلى العرب.
معادا فشل، فلم يلبث أن اتجه إلى العنف والإرهاب.
واجه العرب المعركة في إيمان صادق، وقدموا ضحاياهم.
وشهدوا وأبطالهم الذين كانوا يعانون على حافة المفصلة.
وقدمت الشخصية العربية شهداءها: محمد محمود وعبد الكريم
خليل، وعمر أحد وتوفي البساط وغيرهم من المجاهدين، قدموا
أرواحهم فداء لعورتهم.
وخدع الاستعمار العرب على أن يؤيدوه في الحرب العالمية
الأولى على أن يحقق لهم وطنهم العربي الكبير، ثم خدعهم فقد
قامت الثورة العربية الكبرى، واندفعت الجيوش العربية تحرر
الوطن العربي من الاستعمار التركي فإذا بها تجد نفسها آخر الأمر
طمعة سائغة للحلفاء، وإذا بها تتمركز بين فرنسا وبريطانيا واليهود
وكشف الاستعمار عن حقده البالغ يوم دخل اللورد اللنبي مدينة
القدس، القدس التي احتلاها قوات الصليبيين قبل ثمانياتة عام، ثم
هزمهم صلاح الدين وبيبرس. وقف يربط الماضي بالحاضر
ويعلن سراً حرفيًا خطيرًا هو الامتداد بين الصليبيين والاستعمار
حين قال: "اليوم انتهى الحروب الصليبية".
وقامت الشخصية العربية في كل مكان. وقامت في سوريا بأتي
صور المقاومة وقدمت شهادتها. خرج يوسف العظمة مع مقاتلي
ال قامت العربية في طريقها احتلال دمشق، لقد صم المقاتلين
الشهداء على الأبري وطنه يفتحهم الأعداء. حمل مدفوعه وميض بثق
الحماس في قلوب المتطوعين والجنود
النظاميين للدفاع عن الوطن المقدس. وبياناً كان يجالد والدخيل
أصابته رصاصة في ذراعه، وحاولوا أن يضميوا جراحه قابٍ
وقال إنهما أتيت إلى هنا لاموت تحت أصابع الجبل وما زال
يجالد ويجرب ويشجع جماعته على الصبر والثبات، والقيام بالواجب
إلى أن أصيب بعدة طلقات أردته صريعاً إلى الأرض، فتوارى
في بطن الثرى.
وجاهز شكري القوتل. كان الديدبان البيظ الذي يوجه
المقاومة وجمع المتالي من كل مكان. ويهرب الأسلحة إلى ثوار
سوريا، ويرفض ترويج الصكوك التي تغل الوطن، لا يضحي وعده
ولا يرحمه وعيد.
وتباوت المعارك والثورات في دمشق والقاهرة وبغداد
والقدس والرباط.
وأبرهم بنانور، .. ماض يقاثل الفرنسيين ويجمع حوله الجموع، حتى بلغ جيشه ثلاثون ألفًا من الضباط والجنود المدربين على النظام العسكري، ودامت ثورته عشرين شهراً، ولما تغلبت عليه الجهود الفرنسية سافر إلى عمان ثم إلى القدس حيث قبض عليه الإنجليز وقادره للمحاكمة في مدينة حلب إنه هو الذي صارح الوطنيين في سوريا بأن الحلفاء مشاورون على سورية والوطن العربي. وإن على العرب أن يفتشوا عن طريق آخر، ومضي يجمع حوله فصائل المجاهدين الثائرين يدك معاقل الجيش الفرنسي القاصب.

ومع الخنازير، يجاجد الإيطاليين ويحاربهم، غاص أكثر من مائة معركة، ظل يحارب الإيطاليين، وهو مربوط على ظهر جواده بالجبال، صد المقاومة وحده، ظل يثير الفلق في نفوس الإيطاليين، ويعيش ويبع ويكافح ويقاتل، ولم يتراجع أمام القوات التي جردت معاربته، بل واجهها، وسجل انتصارات باهرة عليها، واستطاع بسلاحه البدائي أن ينتصر على الآلات الحربية الحديثة ..
وقال لهم: لو أنتم أطلقتم سراحي لدعت إلى مارينكم من جديد.

لقد جاهمت ليبيا أشرف جهاد، وضحكت في سبيل استقلالها.
وكرامتها بنحو نصف سكانها وعمدت للعدو ثلث قرن.

وفي السودان وقف أبو عبد اللفيف، وهو الفرد الأعزل يدعو إلى تحرير الوطن. فانتف حواله الكثيرون الذين ألقوا معه جمعية اللواء الأبيض التي أزعمت الإنجليز، وأصبحت شوكة في ظهر الاستعمار، وقد استطاع مع أخوته المجاهدين أن يحصل على ثماحاثة ألف توقيع من زعماء القبائل ورجال العشائر مطالبين بخروج الإنجليز من ديارهم. وقد أُنشئ سر هذه الرسالت قبل وصولها إلى الباخرة التي كانت ستحملها إلى مصر، والتي القبض على الرسول وهب الشعب ينفس عن مشاعره في أول صيحة في سبيل الحرية ويواجه بصدوره رصاص الإنجليز.
وفي دمشق، كانت المدافع الفرنسية تفتح نيرانها على المدينة، فبُعد الحمم على قلب المدينة، فأكل الثيران النور، ويفق النهب والسلب وتعرق البيوت والحوانيت، ويساق الشباب إلى المجازر يرمون بالرصاص.

ويقف سلطان الأطرش يقود كتائب الجهاد ويبدى من ضروب الشجاعة والاستبسال ما يكتب باسمه في سجل الحلفود إلى جوار عبد القادر والنظمة.

وفي تطوان، يمضى عبد الكريم الخطابي لحيارب الفرنسيين والاسبانيين معاً، حرباً شاملة مدة أربع سنوات كاملة.
دون توقف، كان يواجه جيوشًا قوامها مائة ألف جندي، كاملة العدة والعتاد فينصر ويضى من نصر إلى نصر. وفي معركة *(أوال)* يصل إلى قة الظهر فقد سحق الفرنسيين فكرهم صرعى تنافطر جثثهم خمسة أميال كاملة، واستولى على عشرين ألف بندقية، وثمانية مدفع، وبضعة ملايين من الطلقات. وزلزل عبد الكريم قواعد الاستمرار وأذاقه الربال في الوقت الذي لم يكن جنوده يريدون عن خمسة آلاف.

ولقد اندلعت ثورة الريف في المغرب، وثورة الشام في دمشق. وقت واحد، وساقت فرنسا الجيوش إلى ساحتي القشلاق، واستعانت في المغرب بأسبانيا للتغلب على عبد الكريم، واستعانت ببريطانيا لتضيق الخناق على العرب في سوريا.

وهذ العزيز علي المصري، الذي اشترك في الثورة السورية على الإيطاليين فكان رأس قوات الثوار وزعيم برقة، وضع مثل القادة المسلمين على دفع العرب إلى التحرر من نير التورك. وقد أسس
(جمعية العهد الباري) التي تعد أكبر حرب عسكري ألغى ضباط العرب في الجيش العراقي.

وهشيد الكيلاني، العربي الذي واجه بريطانيا قوياً مهماً، عرف بالمعنيد والصالبة في مقاومة نفوذ الإنجليز في العراق، وأحبط كل أحايل الاستعمار وخداعهم، وأعلن سياسة الحياد بين المعسكرين لأول مرة. ومنع دعايات الحلفاء في العراق.

وصلاح الصباح قائد الثورة العراقية في سبيل الأمة العربية الموحدة، وتحريرها من الاستعمار، وعد الإنجليز الذين حاربهم وتعقبهم، حارب الإنجليز في صفوف الجيش التركي خلال الحرب العالمية الأولى، وحارب الفرنسيين في مسلون دفاعاً عن دمشق ثم حارب الإنجليز مرة ثالثة على رأس فرقة من الجيش العراقي عندما هاجموا بغداد خلال الحرب العالمية الثانية.

وظهر له الإنجليز أخيراً وقتلوه وعلقوه على باب وزارة الدفاع العراقية.

وبعد العزير جارينج الرجل الذي قال أن الإنجليز لا تاريخ لهم يستحق القراءة ولا أفكار تستحق الدراسة، ولافلسفية تستحق
البحث. اللحم إلا مذهب دارون وسبئر، والأول لا قيمة للإنسان عنده، والثاني لا قيمة عنده إلا الأشياء المادية.

وعبد الحميد بن باريس، الذي أحيا اللغة العربية وحفظها من الاستعمار الفرنسي ونفض عن العقل العربي في المغرب أوزاره وحارب الأماكن التي يستعين بها الاستعمار ومن استفزاز اليدع والضلالات، وأحيا العربية التي كان يهدف الاستعمار إلى سحقها.

ومحمد فريد، الذي رفض أن يعود من منفاه في مقابل كلة يقوها، وفي غيبوبة مرضه واناث الألم العميق قال لرسول بريطانيا إنه يستحيل أن يساعون في سبيل حرية ووطنه.

والشيخ العدوى الذي كان واحداً من مجلس الحرب لمعاونة عراقي في محاولة الانقلاب، قلما لعبت الحقيبة دورها واحذته الثورة، وفتحت السجون أباهها، لتتسع لا أكثر من تسع وأثاثين.
ألف مواظب، كانوا يترددون عراقي، أخذت المحاكم العسكرية
في محاكمتهم فلما جاء دور الشيخ حسين العدوى وشرعت المحكمة
في سؤاله عن توقيعه القرار الذي صدر بإبقاء أحمد عراقي في وظيفته
وتوفيق أراذل الخديوى والموافقة على عزله، قال في قوة: نعم
ختمت على هذا القرار.

قال القاضي: هل ختمت برغبتك ورضاك أم لسبب آخر؟
قال: كان ختمت برغبتي ورضائي.

قال القاضي: علم المجلس أنك أفيت بعزل الجنائية.
فهل هذا حقيق أم لا؟
قال: أريد أولا أولا أن أسمع هذه الفتوى.

فقرر رئيس المحكمة وهذا نصها:
ما القول في حاكم نقص العهد وحده الفتنة وشق العصا
واتنيبه الأمر إلى أن اختار القوة الأجنبية. وبذل عناية
في المدافعة عنها، وما دعاء الوطنيون للرجوع عن ذي أى وامنع
وأصر على المرقط من الشريعة، فهل يجوز شرعاً أن يبقى هذا
الحاكم حاكماً أو يتسنى عزله؟...
وقال الشيخ العلٍى: إن هذه الفتوى لم تصدر مني، ولكن أقوم بها إلى وجيهوني بمشور أقوى منها، وأنا أوقعه أيها المانٍ، وسعكم واتم رجال العدل أن تنكروا إن الخذاء توقيق مستحق للعزل لأنه مارق عن الدين والوطن.

ووقف صلاح العلي أمام المحكمة الفرنسية في دمشق، لمحاكمته بعد اعتقاله. قال: إنى مغرم بوطني، محب لعروتي. ولو بني معي عشرة من الرجال لقاومتمك حتى الرمق الأخير. وكان صلاح العلي قد رفع الفرنسيين جهاته المتواجدة في بطولة وفاداتها على مراكدهم وارتجاعهم على التفوق والتراجع إلى الساحل تاركين وراءهم مئات القتلى والجرحى.

وسيطر البطل على جبل العلويين سيطرة ثانية وأصبح زمام المبادأة في يده، فالطلق على رأس قواته يهاجم مراكب احتضاد القوات الفرنسية على ساحل طرطوس ونشبت معركة لم يعرف لها مثيل في ضراويرها.
وًعندما هاجم البريطانيون الاسكندرية عام 1882، كانت هناك بطولات عربية وشاملة لا يعرف التاريخ أسماءها. تقف لتدفع عن الوطن، أولئك هم الرماة الذين أبلوا بلاءاً حسناً ونادراً خلف مدافعهم عندما بدأت البروبارج البريطانية تضرب الميناء، فقد وقفوا في شهامة وقوة، إيمان، لا يبالون بالقنابل، ويدافعون عن آخر من أبديهم من دفاع، وقد وصفهم المؤرخون بأنهم كانوا يعذرون واجهم في العراء دون أن يخشوا الموت الذي يهددهم في كل لحظة، ولم يكن ممهم، تروس ولا متاريس، وكان الرجال والنساء ينقلون الذخائر تحت نيران المدافع ويقدمونها إلى الطواجية الذين كانوا يطلقونها.

ولقد أذاق العرب الاستعمار الويلات، حطموا قواع، وأرغموه على التراجع فقد بقيت جيوش فرنسا عاجزة نسخة أشهر عن اجتياز جسر صغير يقوم على أحد أشهر دمشق المعروف بنهر دهور، وبلغ عرضه أربعة أمتار، وقد كلف عبور هذا الجسر الجيوش الفرنسية أكثر من عشرة آلاف قتيل وجريج إذا كان رصاص المجاهدين من بين الوفاء الشجاع يصرعهم كلما دنوا منه شبرا أو حاولوا اجتيازه.

118
وقاومت فلسطين استناداً إلى الأهداف، وقاد المعركة الشهيد موسى كاظم الحسيني، كان أول صوت ارتفع عقب الانتداب، وخرج على رأس أول مظاهرة شعبية في فلسطين عام 1918 وتولى قيادة الحركة الوطنية أربعة عشر عاماً. وقعت الإنجليز بالرصاص في شوارع القدس وهو يقود مظاهرة ضخمة وكان في الثمانين من العمر، وعبد القادر الحسيني الذي حل روحه على كفه وقاد فصائل المجاهدين في جبل الجليل.
 ضد اليهود، وقاوم الإنجليز. وذهب إلى العراق، ليقوم
احترالهم له، فأخير دخولهم عشرة أيام، ودرب المجاهدين
لحرب إلى فلسطين ونفر جيش الجهاد المقدس. ونظم فرقه
وأصبح في القسط.

أحمد عبد العزيز الذي يخليد دير البلح وغزة وكرفور عصيون
ورامات راهميل، و الذي حطم وحقق والق الأنهام، ولم يكد تأكد
بالرصاص والقنابل المتطايرة، والذي خاض الحرب ضد اليهود
ناراً ووظفته عائلاً مستهيناً بالغود وما يأتي به.

وحيداً بر الذي جاء من صفث يمام في كتبة ضخمة حتى نفذت
ذخيرته فأسره الجند وحكم عليه بالسجن عشرين عاماً قلما خرج
بعد نصف المدة، ظنوا أنه سيعود إلى بيته، ولكنه عاد
إلى ساحة الجهاد حتى سقط شهيداً.

وفوزي القاوري الذي حارب الفرنسيين في دمشق، والذي
قدم من العراق إلى فلسطين على رأس نحو مائة مقاتل من الفدائيين
ليحارب اليهود والإنجليز.

الشيخ عز الدين القنام الذي قدم من اللاذقية إلى القدس

120
يدفع الناس إلى الجهاد في فلسطين حتى أخذتهم النشوة فباعوا متأعيهم واشتروا بمثله سلاحاً وذخيرة وألقوا أول كمية قذائية في فلسطين قادها بالرغم من بلغة سن الخامسة والستين حيث هاجموا مسركات اليهود.

وفرعان السعدي الذي أعدم في سجن عكا مع مائة وثمان وأربعين شهيداً، وستة ثمانين عاماً وقد شنقه الانجليز ووصام.

لقد واجهت بريطانيا ثورة عارمة هزت الدنيا، وأحس اليهودين أمالهم في البقاء في فلسطين قد تبخرت، وقد بلغ الذين حكم عليهم بالسجن في هذه الثورة أكثر من ألفين، كما نسفوا أكثر من خمسة آلاف بيت، وبلغ عدد من اعتقل لمدة مختلفة نحو خمسين ألفا وقد كانت القوات البريطانية تحاصر قرية من القرى وتجمع رجاءها في الغار، ثم ينتهى الضابط البريطاني الشباب القوي، ويطلق عليه النار على مسجد من مكان القرية المول حتى يجاوز عدد الشهداء ثلاثة آلاف والجرحى سبعة آلاف.

ولكن هل اهزمت الشخصية العربية في فلسطين بقوة السلاح كلاً، بل اهزمت بالحقيقة. لقد أرسل ملوك العرب إلى المحاربين في فلسطين يطلبون إليه أن يضموا السلاح، كانت خدعة أطلقت عليها التفاهيم.
وقاومنا في العراق ... 
أما الشخصية العربية في العراق فقد قاومت بريطانيا وهزتها.

هذا، عندما اندلعت النار عام 1930، اضطرت بريطانيا أن ترسل 50 ألف سجندى بريطاني للاخمادها، كانت بغداد والبصرة والموصل، والديوانية والسبليطانية والناصرية تناصرت في عنيفة ووظت تقاوم مقاومة شديدة عشرة أعوام كاملة، وفرضت بريطانيا على العراق معاهدها بالقوة، ولم تستطع القضاء على المقاومة إلا بالإرهاب والنهب. كان سلاح الطيران البريطاني ينزل من الصواريخ، وصنع أرنولد ورسون يقول: لقد كان التصويب الحكم الذي قام به سلاح الجو الملكي في قذف السكان الاكراد خلال العشر سنوات الماضية. إن القرى المهدمة والماشية المذبوحة والنساء المشوهات، والأطفال المشوهين دليل لا يدحض على طراز فريد من المدينة، بل أنهم عمدوا إلى استعمال نوع جديد من القنابل، هي القنابل الموقعة، هذه القنابل التي لا تنفجر عند سقوطها مباشرة وإنما تنفجر بعد وقت قصير، وقد قصدوا من ذلك أن يغرون بالقرويين فيعودون إلى أوكاهم بعد انصراف الطائرات فتنفجر فيهم القنابل عندئذ.
وقد ظلت بريطانيا تغذف العراق بالقنابل حتى ثورة رشيد الكهلاوي عام 1942 ولكن الشخصية العربية في العراق عاشت قوياً حية مليئة بالحنان والإيمان يبقها في الجبهة وكيانها القوى.

وقد ظلت العراق مصدرًا من مصادر القوة لكل ثورة في سوريا وفلسطين، وكانت مصدر إمداد الثورات الفلسطينية بالسلاح والعتاد، وكان جيشها في معركة فلسطين 1948 يتحرك إلى أداء دوره لولا الاستعمار.

وإذا كان العراق قدتم الضحايا فإن سوريا قدتمت نصف مليون من الضحايا وهو ما يعادل سبع عشرة سكانها في الثورة العربية الكبرى.

لقد أوفدت الشخصية العربية الثورة في كل مكان على الاستعمار الذي قدم أشع صور الظلم والقتل والإبادة. وقاومت الشخصية العربية بالرغم من تمزيقها وتقسيمها، قاومت بالرغم من النجزة والخونة، في كفاح دائم، كانت كل حركة في مصر ضد بريطانيا، وفي سوريا ضد فرنسا وفي ليبيا ضد إيطاليا جزءًا من العمل الكبير.

- 123 -
لقد نرى على الإنجليز والفرنسيين والأسبانيين والأيطاليين وكل من استولى على بلادنا، وعدنا فكرنا الثورات الحمراء والبيضاء عدة عقود من السنين وقاسينا في ذلك ألواناً من العذاب والتضحيات.

وحاولت بريطانيا أن تقم حكومات من الاقتطاعيين والراجعين والسياسية، وتفتقر بها وأمه وزعماء خونة ولكن ذلك لم يمتد طويلا. فقد كان يوم اليقظة الكبرى يقترب بسرعة، ولم يكن في استطاعة هذه الأوضاع المفتعلة أن تستمر طويلا، لذلك فقدت قناؤها سرعان ما انتهت.

لقد عدنا حقاً في وجه الموجة العائمة، أن أي أمة لو تنازعتها الأحداث والفتوح والثورات على هذه الصورة، غير أمة العرب، لكانة منسية، ولكن الشخصية العربية بما لديها من صلابة العود صارت وإستطاعت أن تقر الفائق وتقاومه.

لقد دمر الاستعمار كثيراً من قوتنا التي نبنيها على مر السنين، دمر أسطولنا في معركة نفارين، وسحق جيشنا في الاحتلال، وخدعنا مرتين في الحرب الأولى وكانت نتيجة معاونتنا له تمريق وطننا وفرينا في الحرب الثانية خلق إسرائيل.

ولكن يقظة الشخبة العرب وقفت ضد ما يحكم لها، فأهزم...
الاستمرار في أشد أيامه قوة، عندما حاول أن يقيم أمته قناعة
السويدي قبل الحرب العالمية. ونادى الإنجليز في مصر والفرنسين
في سوريا زعماً يلقون بهم في متصرف الطريق، ولكنهم رغم
كل أغراء عجزوا عن أن يوقفوا التيار الوطني الجارف الذي قتل
طرساً غالياً في مصر لأنه وقع إتفاقية السودان، ويكفرصدق في
العراق لأنه عاون الاستمرار، وغردون في السودان.

وظلمت شخصيتها العربية مصقوله مشرقة بالرغم من الظلم، هذا
عبد القادر الجزائري بعد أن نفى من وطنه وحيل بينه وبين الكفاح
في سبيل تحرير وطنه، وأختار المقام في سوريا، وقامت فتنة
9 يوليو 1860 بعث إلى كل مغربي في دمشق، فزعمهم في أحياء
المدينة لنقاذ ما يستطيعون من المسيحيين فكانوا يجعون كالأسود
يقلوب لاتهاب الموت، وأستولى على البيوت المجاورة واقام فيها
اللائمين به ومن حولهم قناص الدور وكان ينفق عليهم فيما
يجتازون إليه.

وهكذا صقلت الأحداث الشخصية العربية طوال هذه السنوات
التي أربت على القرين من المقاومة، لم توقفها المشاتق المنصورة في
دمشق وبيروت ودمشق، ولا المدافع التي تحمل الحلم التي وجهت

- 145 -
الصدور الأحمر في الجزائر وتونس ومراكش وليبيا... ولا الموتى التي دُرِّبت لاغتيال عمر المختار محمد قريم.
وعبد القادر الحسيني وصلاح الصباغ وعدنان المالكي.
لقد تآمر علينا الصليبيون والشتار، فساروا بجحافل وراء جحافل
وتآمر علينا التتار وحرقوا وهدموا، وتآمر علينا العثمانيون، ثم
تآمر علينا البريطانيون والفرنسيون وتأمرت إسرائيل.
وما من معركة أنهزمنا فيها إلا كانت الحياة مصدرها، هزمنا
الحياة في ميسون والتل الكبير ومرج دابق وفلسطين.
وحاول الفاسد أغراناً بالمرأة والمثل والمنصب والجاه فلم
يتدفع لها الاقلة داستها الأقدام في المركب الراحلة، وحملوا
فوق رؤوسهم عرا الأجيال.
أنه الاستعمار الذي راحنا بجحافله وحديد وناره، وقد واجهنا
بأجسادنا المتراصة حين حارنا عن السلاح، لقد حاول التخاس من
كل حرب، تخلص من جمال الدين الافغاني، وعبد الرحمن الكواكب،
وعلي عبد اللطيف، وطارد عبد القادر وعبد الكريم ورشد الصيلاني،
رفيق عرابي وأمين الحسيني وأحمد شكري القوتي وفوزي القاونجي.
وعاشت الشخصية العربية تقدم الشهداء والضحايا صفاً وراء
صف، في سبيل استعادة حقها المسلوب، والحفاظ على كيانها الحق.
بتحقيق الراحة والسعادة
ب豁مك من الابتكار بـ بوتاجاز القانون

اجتماع الإخوة الأثرياء للبنكول
هيئته قناة السويس
مصل الإحصاء الهيدروليكية
لا تزال الإدارة العربية المرفقة على قناة السويس حديثة في العمل على رفع أمانة المرفقة للإحصاءات إباحة على المستوى الذي يسمح له بمساهمة تطور حركة بناء السفن في العالم.
وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، أنشأت الهيئة معملًا للبحوث الهيدروليكية بمدينة الإسماعيلية، حيث مقرها الرئيسي، لبحث ودراسة كل ما يتعلق بشئون اللاحة في القناة، ويجري العمل حاليا على قدم وساق لتزويد العمل بما يتطلب من أجهزة ومعدات حتى يتيسر افتتاحه في أقرب وقت ممكن.
ويذكر بالذكر أنه قد اجريت بعض التجارب فعلا صباح يوم الثلاثاء 18 أكتوبر الماضي على عربتي الدليل لسحب السفن، بلغت سرعة إجهادها خمسة أمتار في الثانية، وامكاني التحكم فيها أما باليد أو بجهاز إلكتروني. وبلغت سرعة الأخرى درا مترا في الثانية، وامكاني التحكم فيها باليد فقط. وقد أفتتحت هذه التجارب استعمال نماذج السفن التي تشير القناة مع كل من المريني وسويس تؤدي التجارب التي أجريت لدراسة تأثير الأمواج وقوة الدفع والمقاومة على ضفتي القناة التي تحديد السرعة القصوى التي يمكن السماح بها لمبادرات القناة.
وحرصنا على أن تأتي هذه التجارب بالنتيجة المرجوة بالسرعة والدقة المطلوبة، أنشئ العمل في منطقة القناة نفسها لا في مدينة جرينويل في فرنسا، كما كان الحال أيام الشركة المنحلة أتى كانت تستنفد الوقت والجهد والمال على تجارب في مكان بعيد الأماكن عن موقع المرفق.
ويجب الانتباه على أن الى الإمكانية أن أتمام هذا العمل سيفتح مجال العمل والترقى للإيدي المصرية المعملة من أهالي منطقة القناة ضلاً عما سيتولده من الخدمات للطاعة مالياً.